نسمات الأدب
القدس
عربية مسلمة أبية
مراح مريم

القدس
عربية مسلمة أبية

مراح مريم

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب: القدس عربية مسلمة أبية

المؤلف: مراح مريم

غلاف الكتاب: منى وجيه

موك اب الكتاب: سها منصور

تنسيق داخلي: سمر حمدان

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ابشري يا قدس فالفجر قادم

ألا أيّها الشرقُ المفدّى أقبِلِ
فقدسُك في قيدٍ ثقيلٍ مُزلزِلِ
أيا مهدَ أنبياءِ اللهِ وصخرَها
تناديكَ أحجارُ الرُبى والمنازلِ
أما آنَ للظلماءِ أن ينجلي الدُجى
ويُشرقَ صبحُ الحقِّ من كلِّ موئلِ؟
أما آنَ للحمامِ أن يرفعَ الجَناحَ
ويُعلنَ في الأقصى سلامَ المُجدِّلِ؟
ويُطلقَ الزيتونَ أغصانَ عزّةٍ
وتَخضرُّ أوراقُ الهوى والمواكِلِ**
فيا أمةَ الإسلامِ أينَ عهودُكم؟
وأينَ اللواءُ في يدِ البأسِ يُرفلِ؟

ألم تذكروا بدرًا وأحدًا وموقفًا

بهِ طُردتْ أهوالُ عُتُلٍّ ومعتلِ؟

أما مرَّ في الآياتِ وعدُ نُصيرِكم؟

بأنَّا سنعلو رغمَ كيدِ المُغوّلِ

فقد طالَ ليلُ القيدِ في قلبِ قدسِنا

وقد صاحت الأحجارُ: "هيا تقبّلِ"

أما سمعَ التاريخُ يومًا كلامَها

تنادي بأبطالٍ كأُسدِ المواكلِ؟

أما آنَ أن يُبكى الجموعُ من الظما

ويُسقى ترابُ القدسِ دمعَ المقاتلِ؟

فلا خيرَ في قومٍ يرونَ دمارَها

ويُغمضُ من يُبكيهِ جفنُ المناضلِ

أيا أمّةَ الإسلامِ قُمنا لحاضرٍ

تثورُ بهِ الأرواحُ في كلِّ منزلِ

ويُشرقُ نجمٌ قد توارى بضوئِه

فتُبنى لنا أمجادُ عزٍّ مُقوّلِ

فسلْ عن جزائرَ كيفَ طهّرتَ أرضَها

فباتتْ كنجمٍ في السماءِ مُحلِّلِ

وسلْ عن سوريا كيفَ قامت بعزمها

تُحرّرُ أوطانَ النضالِ المُناضلِ

فكلُّ طريقٍ للكرامةِ واثقٌ

بما خُطَّ من عهدٍ بصُحفِ الأوائلِ

ويا قدسُ أبشري بنصرٍ مؤزّرٍ

بهِ اللهُ يجزي كلَّ وعدٍ لمبدلِ

سنُبكي بأسيافِ الحِدادِ عدوَّنا

ونُرسلُ بالنيرانِ سهمَ المُغلغلِ

فتُشرقُ ساحاتُ الأذانِ مؤذِّناً

بآياتِ ربٍّ لم تُخالطْ بمبتلِ

أيا ربَّ قدسٍ عُدتَ نصراً مؤزراً

فيا ليتَ أيامَ العروبةِ قد جلي

وفي كلِّ زاويةٍ نُباركُ نصرَنا

ويسمو بنا شرفُ السّماءِ المُظلّلِ**

فحرِّرْ أقاصينا وردّ كرامةً

لأرضٍ تُناجيكَ فوقَ المُتزلزلِ**

أما وعدكَ الموعودُ حقاً يقينُنا

ألا إنَّ نصرَ اللهِ حتمٌ على السُّبلِ

***

أيها الناظر إلى حال البشر، انظر بعين الفؤاد لا بعين الجسد إلى مشهد يزلزل القلوب ويقضّ المضاجع، مشهدٌ تأنّ له الأرض وتبكي له السماء، امرأةٌ تحمل في أحشائها وليداً مكفّناً قبل أن تُبصِره عينُ الحياة، يخرج من غياهب الرحم كما يخرج الحي من الميت، وما يلبث أن يُساق إلى ظلمات القبر، فلا يعرف من الحياة إلا ظلمتين؛ ظلمة الرحم وظلمة اللحد.

يا حسرة على أمة ما اهتز لها قلب ولا طرفت لها عين، أمةٌ اجتمعت أفواجها وتدافعت صفوفها لمغنٍّ صوته فتنة وألحانه سمٌّ زعاف، أو لممثلٍ جعله الخلق لهم بطلاً، فترى أيديهم تمتد له

توقيعاً وتبجيلاً، فيا خيبة الأيدي التي امتدت له، خسأها الله وشلّها، ويا عارَ القلوب التي تهادت نحو الفسوق والضلال.

أيها البشر، أما ترون أنكم قد وقعتم في أشنع ما وقع فيه السابقون من الأمم الهالكة؟ قد فُقتم قوم لوط في فسقهم، وجاوزتم عاداً في عتوّهم، وتفوّقتم على فرعون في طغيانه وكفره. ألا ترون أن الله يستدرجكم استدراجاً، ويغريكم في غيّكم إغراءً، حتى إذا بلغت الروح الحلقوم ندمتم ندماً عظيماً، يوم لا ينفع الندم، وتمنّيتم لو تُعاد الحياة إليكم، لتصلحوا ما أفسدتم وتطهّروا ما لوّثتم، ولكن هيهات هيهات، فقد ضاع العمر،

وبقي العار والقرف تفوح روائحه، وفضلات خطاياكم تنتشر في كل مكان.

انظروا إلى فلسطين الجريحة، تلك الأرض الطاهرة التي سالت عليها دماء الصحابة الأطهار، وجاهد فيها الأولون من الصالحين، أترونها اليوم تصرخ من ظلم الأعداء وتستغيث من جور الغاصبين؟ وأنتم، أيها العرب، ما صنعتم؟ تركتموها وحيدةً تنافح عن نفسها وعنكم، فانشغلتم عنها بحفلات المجون والدياثة، وفتحتم أبوابكم للصهاينة والمارقين، وألقيتم أموالكم في جيوب الفساد، بينما وقفتم صامتين أمام جراح فلسطين، بل بات بعضكم يصفّق للجلاد ويصافحه بدم بارد.

أفيقوا أيها الغافلون، أفيقوا قبل أن يحيط بكم غضب الله وسخطه، فتكون نهايتكم كنهاية من سبقكم من الأمم. فلسطين لا تحتاج منكم إلا نصرةً وإخلاصاً، أما أنتم فقد رضيتم بالدنية في دينكم ودنياكم، فإلى متى هذا السبات العميق؟ يا عرب، قد آن لكم أن تنهضوا من غفلتكم، أن تفيقوا من سُكر لهوكم، وأن تعرفوا أنكم على حافة الهلاك.

ويحكم! إن العدو لا يسعى إلا لإفنائكم وإبادتكم، وأنتم في لهوكم غارقون، وفي غفلتكم متمادون. أما آن لكم أن تعودوا إلى رشدكم، أن ترفعوا رايات الكرامة وتعيدوا مجدكم الغابر؟ أما آن لفلسطين أن تجد بينكم رجالاً كرجال الماضي،

يـــذودون عنهـــا بـــالنفوس قبـــل الســـيوف؟ أيهـــا العـــرب، اســـتيقظوا، فـــإنكم ماضـــون إلـــى هاويـــة لا قـــرار لهـــا، فويـــلٌ لكـــم مـــن يـــومٍ تشـــخص فيـــه الأبصـــار، يـــوم لا تنفـــع فيـــه أمـــوال ولا أحـــلام مزيفـــة، يـــوم لا يبقـــى فيـــه إلا الحـــق، ولا يصـــمد فيـــه إلا مـــن كـــان فـــي قلبه إيمانٌ راسخٌ وعزمٌ لا يلين.

***

المرأة الفلسطنية معجزة

إنها امرأة تمتلك قلبًا أكبر من قلوب آلاف الرجال، قلبًا ينبض بالإيمان واليقين، قلبًا مليئًا بحب الله ورسوله، تشتعل فيه رغبة الطاعة والعبادة، وتحمل بين ضلوعها كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، تفتخر بهما وتعيش من خلالهما. إيمانها بالله قوي، لا تزعزعه الرياح ولا تؤثر فيه التقلبات، لأنها تعلم علم اليقين أن الله هو الوكيل وهو القادر على كل شيء.

في رحمها، تحمِل روحًا طاهرة، طفلًا يرضع حب الجهاد في صغره، مجاهدًا حتى قبل أن يولد، سيكون رجلًا صنديدًا في المستقبل، سيواصل المسير في

طريق الجهاد، ويستحق أن يكون شهيدًا. هي لا تخاف على ابنها، بل تفتخر بأن الله قد اختارها لتكون أمًّا لهذا المجاهد الذي سيُخلد اسمه في تاريخ الأبطال.

المرأة المجاهدة هذه لا تقتصر مهمتها على رعاية أسرتها فقط، بل تتجاوز ذلك لتكون مصدر قوة وسند لأمتها. تقوم على خدمة عائلتها، تتعب لأجلهم وتذوق مرارة الحياة، لكنها لا تشتكي، بل تتخذ من هذه التضحيات وسيلة لرفع مكانتها عند الله. في يديها، تتحمل الحجارة، وتنقل الأعباء الثقيلة، ولا تعبأ بمشقة العمل، لأن ما يعينها هو إيمانها العميق بأن الله معها.

لقد جعل الله عملها عظيمًا، وإنجازاتها لا تُعد ولا تُحصى. في السماء، تحظى بذكرى طيبة من ملائكة الرحمن الذين يباركون أعمالها ويشيدون بها. هي الأم الفاضلة، المربية الصابرة، المجاهدة المتفانية في سبيل الله، التي تفتخر بكونها جزءًا من الأمة التي تحمل راية الحق والإيمان.

إنها الزاهدة التي اختارها الله، فهي ترى الدنيا زائلة وتعلم أن جزاءها سيكون في الجنة، حيث لا تعب ولا نصب. إن الله قد فضلها بما لا يُعد ولا يُحصى، وجعلها مثالًا يحتذى به في العطاء والصبر، لتُصبح الجنة هي جزاءها الأبدي، هناك

حيث يسكن الأنبياء والصالحون، في دارٍ لا يُظلم فيها أحد.

أما أهل فلسطين، فيا لها من أرض طيبة طهور، التي زرع الله فيها الأمل والكرامة رغم كل المحن. إن الأرض ضيقة على أهلها، ولكن المؤمن دائمًا في ابتلاء، وهم في أشد الاختبارات من رب العالمين، لكنهم صامدون مؤمنون، لأنهم يعلمون أن الأنبياء والصالحين كانوا أكثر الناس بلاءً، وأن الله سبحانه وتعالى لا يترك عباده المؤمنين، بل يختبرهم ليجازيهم بجنات النعيم.

هي تؤمن بهذه المقولة، وتعلم تمامًا أن الله فوق السماء، وهو الرحمن الرحيم الذي لا يضيع أجر من أحسن عملًا. هي

تتشرف بأن تكون جزءًا من هذه الأمة، وأن تنال شرف الجهاد والشهادة، لأنها على يقين بأن وراء كل مكروه يومًا ستنقشع الغيمة، وأن في الجنة سيكون الفرح والهناء الأبدي.

تعيش هذه المرأة مجاهدة في حياتها، تزرع في قلبها وفي قلب أبنائها حب الجهاد، وتعلمهم كيف يكون الفخر بالعطاء والتضحية، وكيف يكون الإيمان بالله قوياً لا يتزعزع. من خلال حياتها اليومية، تزرع الأمل وتدعو الله أن يظل الجهاد طريقها، وتنتظر اللحظة التي تنال فيها شرف الشهادة، حيث يكون اللقاء الأبدي في الجنة مع الصالحين والأنبياء.

وهكـــذا، هـــي تجســـد معـــاني الإيمـــان الحـــق والصـــبر علـــى الـــبلاء، وتحيـــا فـــي الـــدنيا بعـــزم وشـــجاعة، متطلعـــة إلـــى الجنـــة حيـــث تـــــنعم بملاقـــــاة ربهـــــا، والخلـــــود فـــــي دار النعيم.

***

فلسطين أرض الكرامة والشرف

فلسطينُ يا أرضَ المجدِ يا عزمَ البقاء
أنتِ التي فوقَ الثرى تَسْكُبِينَ الضياء
وفيـــكِ تنبـــتُ الزهـــورُ رغـــم الجـــرحِ والدماءِ
تنبعثُ فيكِ الحياةُ من قلبِ السماءِ
يا قدسُ يا ضوءَ الأملِ، يا فجرَ السماءِ
أنتِ التي لم تُسْلَبْ رغم الطغيانِ والعداءِ
دماؤكِ الطاهرةُ تروي أرضَ الصبرِ بكاء
وفيكِ يظلُّ المجدُ ثابتًا في الفضاء
أنتِ فلسطينُ، يا ملحمةً في القلوبِ
أنتِ التي أسمعُكِ أصداءَ البعدِ والنداء
صوتُكِ في الأرجاءِ يعيدُ العزَّ والصحُبِ
وعيونُ الأحرارِ فيكِ تُضيءُ السماء
يا أمَّ الأبطالِ، يا هامةَ الشرفاءِ

أنتِ التي ترفعينَ راياتِ العزِّ في السماء

منكِ ينبثقُ الأملُ، ومنكِ يحيَا الحياة

فلسطينُ لن تهزمي، ولن تُكبَحِ الرياحُ

فيكِ تشرقُ الشمسُ رغم الظلمِ والعداء

وتسقطُ الرياحُ عاصفةَ الجفاء

لأنكِ الأرضُ الطاهرةُ، لا تنثني السماء

وعيونُ الناسِ تراكِ شامخةً في الفضاء

أنتِ جرحٌ نازفٌ في قلبِ الشرفاءِ

لكنّكِ أملٌ للحرِّ، وفي العيونِ ضياء

يا أمةَ الحقِّ، يا شعبَ فلسطينِ، لستِ وحدكِ في العناء

سنحملُ معكِ السيفَ، ونمضي لكِ في دربِ العزِّ سراء

أيها الأحرارُ، لا تبخلوا بالكلامِ في الهواء

بــل شــمروا عــن ســواعدِ الجهــادِ فــي كــلِّ لقاء

فــاللهُ معكــم، واللهُ ناصــرٌ للحــقِّ فــي كــلِّ مكانٍ من السماء

وســتظلُّ فلســطينُ عاليــةً، والأقصــى فــي القلبِ والسماء

فلسطينُ ستظلُّ حرةً، لن تبقى للأعداء

وسيصــحو منهــا الفجــرُ، وتشــرقُ بهــا الحياةُ في الغداء

لــن يُهــزمَ الأبطــالُ فــي ثــرى أرضِــكِ مهمــا بلغَ الظلمُ والعداء

وســتظلُّ فلســطينُ عربيــةً إســلاميةً فــي قلــبِ الدهرِ أبدًا ما في السماء

"**

عاشق أبدي أنا للقدس ومتيم

وفي لها ولوخانتها أوطان وأمم

أفتش عن نخوة العروبة والإسلام

أم إن كان في الأرض رجل أو مسلم

أم خلت الأرض من رجلها أم أنها أعقم

فيا أسفا على عار جبن ورذيلة ومأثم

ويا أسفي على عرب بالفاني تتوهم

تبكي الرجولة من حالها وتتلعثم

باعوا شرفا وعقيدةبدرهم متسمم

ونسوا أن ماعند الله أكرم وأنعم

وأن النخوة والرجولة لا تباع بدرهم

فأقم العويل وبني لهم بالذل ميتم

ففي القدس حمامة السلام تحوم

لتخبرها أن قادمها نصر عظيم

وأن شهيدها عند الله يعز ويكرم

فمالي أرى القدس رغم ألمها تتبسم!

أم أخبرتهـــا الملائكـــة بأجمـــل وأصـــدق الكلم!

وأن لا تحزنـــي فنصـــرك فـــي الســـماء مبرم؟

***

الجزء الأول

غفلة الأمة وعظمة الأرض

الفصل الأول:

حين نامت الأسود

في ليلة هادئة، غطّت الأمة في سباتها العميق. كانت المدن تغرق في أضوائها الزائفة، والأسواق تعج بضجيج البيع والشراء، وكأن لا حرب تلوح في الأفق، وكأن العدو لم يسطو على مقدساتهم ولم يذبح أبناءهم. جلسَت امرأة على شرفة منزلها، ترنو بنظراتها إلى السماء البعيدة، تهمس لنفسها همسات لا يدركها إلا قلبُها المكلوم:

ـ "أيها القمر، كيف تضيء ظلمة هذه الأمة؟ أليس الظلام أرحم من هذا النور الذي يفضح خذلاننا؟"

وفي مسجد قديم، جلس شيخ طاعن في السن على سجادة صلاة ممزقة، فاضت عيناه بالدمع، وكان يتلو آيات الجهاد من كتاب الله، لكن صوته كان يختنق بالبكاء. رفع يديه إلى السماء قائلاً:

- "اللهم إنك تعلم ضعفنا وتعلم تخاذلنا. فلا تحرم فلسطين من نصرك، وإن لم يكن من بيننا رجال، فأنزل ملائكتك."

في زاوية بعيدة من العالم، كان حاكم يجلس على عرشه، محاطًا بحاشيته. كانوا يحدثونه عن إنجازاتهم الزائفة ومعاهدات السلام التي أبرموها مع الأعداء. رفع الحاكم كأسه مبتسمًا وقال:

- "لقد اشترينا السلام بثمن زهيد. لماذا نضحي بالراحة من أجل قضية قديمة؟

دعـــوا الفلســـطينيين يحلـــون مشـــاكلهم وحدهم.

***

الفصل الثاني

على أرض الجرح

فـــي فلســـطين، كانـــت القصـــة مختلفـــة. كـــل صـــباح كـــان يحمـــل معـــه دمـــاءً جديـــدة وألمًـــا جديـــدًا. فـــي إحـــدى القـــرى، وقـــف صـــبي صـــغير يحـــدق فـــي بقايـــا منزلـــه الـــذي دمرتـــه قذيفـــة، كـــان يحمـــل فـــي يـــده دميـــة مكســـورة، وقال لأمه بصوت يقطعه الألم:

ـ "أمـــي، متـــى نبنـــي بيتنـــا مـــن جديـــد؟"

أجابتـــــه الأم وهـــــي تحـــــاول أن تخفـــــي دموعها:

ـ "حين يعود الرجال، يا بني. حين يعود الرجال."

وفي شارع آخر، وقف شاب يودع أصدقاءه قبل أن ينطلق إلى جبهة القتال. قال لهم:

ـ "لا تخافوا، الموت هنا أهون من الحياة في ذل. فلسطين تنادينا، ولا يمكن أن نتركها."

لكن ذلك الشاب لم يعد أبدًا. في المساء، جاءت الأخبار عن استشهاده، لكن بدلاً من أن تبكيه أمه، رفعت يديها إلى السماء وقالت:

ـ "اللهم اجعل دمه نورًا يضيء طريق التحرير. اللهم لا تحرمني رؤية النصر الذي استشهد من أجل

الفصل الثالث

الفتنة الكبرى

بينما كانت فلسطين تنزف، كانت الأمة مشغولة بخلافاتها. في بلد عربي بعيد، جلس علماء الدين يتجادلون حول مسائل هامشية، بينما كان خبراء الإعلام يناقشون أحدث صيحات الموضة. في إحدى القنوات الفضائية، ظهرت مذيعة تبتسم بسخرية، وقالت:

- "فلسطين قضية مهمة، لكنها ليست أولوية الآن. لدينا اقتصاد يجب أن نبنيه، ولدينا أجيال يجب أن نوفر لها مستقبلًا."

وفي زاوية أخرى، كان شاب يجلس أمام هاتفه المحمول، يقضي ساعات في

متابعة مقاطع الفيديو الساخرة والأغاني الهابطة. حين وصلته رسالة عن تبرع لفلسطين، أغلقها وقال:

ـ "لا أملك ما أتبرع به. هذه ليست مشكلتي."

***

الجزء الثاني

يقظة الأسود

الفصل الرابع

أصوات الصمت

لكن فلسطين لم تنتظر أحدًا. في قلب المخيمات، كانت تُنسج قصص البطولة. كان هناك شيخ كبير في السن يجمع الشباب في حلقات صغيرة، يحدثهم عن الجهاد، وعن وعد الله بالنصر. قال لهم ذات يوم:

ـ "أيها الشباب، لا تنتظروا أمة نائمة لتوقظكم. أنتم الأمة، وأنتم الأمل. احملوا رايتكم، وقاتلوا كما فعل أجدادكم."

في تلك الليلة، قرر الشباب أن يتحركوا. بدأوا بحفر الأنفاق تحت الأرض، وجمع الحجارة لبناء أسلحتهم البسيطة. كانوا

يعلمـــون أن النصـــر لا يـــأتي بالســـلاح وحده، بل بالإيمان.

***

الفصل الخامس

ميلاد القادة

كـان مـن بـين هـؤلاء الشـباب رجـل يُـدعى يوسـف. كـان شـابًا عاديًـا، لكنـه كـان يحمـل فـي قلبـه حماسًـا غيـر عـادي. قـال لأصدقائه ذات يوم:

ـ "سـنحرر هـذه الأرض، لـيس لأننـا أقويـاء، بـل لأننـا نـؤمن بوعـد الله. إذا لـم نبدأ نحن، فمن سيبدأ؟"

تـولى يوسـف قيـادة المجموعـة، وبـدأوا فـي تـدريب أنفسـهم. كـانوا يخرجـون تحـت جـنح الظـلام، يتعلمـون الرمايـة والزحـف.

لـــم يكـــن لـــديهم مـــدربون محترفـــون، بـــل كـــانوا يتعلمـــون مـــن أخطـــائهم، ويصـــقلون عزيمتهم بدموعهم وآلامهم.

***

الفصل السادس

الصرخة الخالدة

فـــي ليلـــة ظلمـــاء، اجتمـــع يوســـف مـــع مجموعته وقال لهم:

"يـــا إخـــوتي، غـــدًا نبـــدأ أولـــى عملياتنـــا. قـــد لا نعـــود جميعًـــا، لكـــن تـــذكروا أننـــا لا نقاتـــل مـــن أجـــل أنفســـنا، بـــل مـــن أجـــل أمـــة بأكملهـــا. إذا استشـــهدنا، فلـــيكن دمنـــا رســـالة إلـــى كـــل من تخاذل."

فـــي اليـــوم التـــالي، شـــنوا هجومًـــا علـــى موقـــع للعـــدو. رغـــم قلـــة عـــددهم وضـــعف

أســـلحتهم، إلا أنهـــم نجحـــوا فـــي تحقيـــق النصـــر. كـــان هـــذا الانتصـــار بدايـــة لانتفاضـــة جديـــدة، بدايـــة لنهضـــة الأمـــة التـــي طـــال انتظارها.

***

الجزء الثالث

المعركة الكبرى

الفصل السابع

يوم الفصل

توالـــت الانتصـــارات الصـــغيرة، وبـــدأت الأمـــة تســـتيقظ مـــن ســـباتها العميـــق. فـــي كـــل بلـــد عربـــي، خرجـــت مظـــاهرات تنـــدد بالصـــمت، وتطالـــب بـــالتحرك. قـــال أحـــد القادة العسكريين في خطبة حماسية:

ـ "لقـــد آن الأوان لـــرد الاعتبـــار لفلســـطين. إذا لم نقاتل الآن، فمتى؟"

اجتمعـــت جيـــوش الأمـــة أخيـــرًا تحـــت رايـــة واحـــدة، وبـــدأت الزحـــف نحـــو فلســـطين. كانـــت المعركـــة الكبـــرى علـــى وشـــك أن تبـــدأ، وكـــان الجميـــع يعـــرف أن هـــذه اللحظـــة ستكون فاصلة في تاريخ الأمة

***

الفصل الثامن

وعد السماء

في صباح المعركة، وقف يوسف مع جنوده، وقال لهم:

ـ "تذكروا، نحن لا نقاتل من أجل أرض فقط، بل من أجل شرف أمة بأكملها. النصر أو الشهادة، لا خيار ثالث."

اندلعت المعركة، وكانت أعنف مما توقع الجميع. استمرت لأيام وليالٍ، لكن الإيمان كان أقوى من كل الأسلحة، والإرادة كانت أقوى من كل الحواجز. تلاحمت قلوب المحاربين، وتوحدت أهدافهم. في تلك اللحظة، كانت الأمة قد استفاقت، وخرجت من غفلتها لتثبت

للعـــالم أن قضـــية فلســـطين هـــي قضـــية كـــل مسلم، وأن النصر آتٍ لا محالة.

***

عاشق القدس: حكاية الأبدية والكرامة

كانت القدس ترتدي عباءة الحزن، لكنها رغم ذلك تتزين بابتسامة غامضة تشع بالأمل، كأنها تعرف سرًا مخبأً في صفحات الغيب. كانت هذه المدينة العتيقة، حيث تتشابك الأزقة وتُحكى الحكايات على كل حجر فيها، تُنادي أرواح المؤمنين وتجذبهم إليها كالمغناطيس. كان هذا حال خالد، رجل من أولئك الذين حملوا في قلوبهم نار العشق الأبدي للقدس، ورفضوا أن ينطفئ هذا الشعور رغم خيانة الأوطان وبيع الكرامة.

خالد، وهو رجل في الأربعين من عمره، وُلد في قرية صغيرة على أطراف

الصحراء. ترعرع على قصص المجد العربي والإسلامي، وعلى حكايات صلاح الدين والأيوبيين الذين حرروا القدس يومًا ما. لكن الزمن تغيّر، ولم يبق من تلك الحكايات سوى الرماد. كانت أمّه دائمًا تقول له: "يا خالد، لا تترك للزمان أن يُنسِيك أن القدس قلب الأمة، ومفتاح عزتها. إن تخلى الجميع، فلا تتخلّ عنها أنت."

كبر خالد، ومعه كبر وجعه. شاهد كيف أن العرب استبدلوا نخوتهم بالفتات، وكيف صارت عقيدتهم تباع وتشترى بثمن بخس. كان يسير في الأسواق، ويرى الناس منشغلين بمظاهر الحياة الزائلة، في حين أن القدس تُنتهك كل

يـــوم، تُســـبى حاراتهـــا، ويُـــدنّس ترابهـــا الطـــاهر. كـــان قلبـــه يتمـــزق وهـــو يســـمع الأخبـــار: شـــهيد هنـــا، أســـير هنـــاك، والكـــل صـــامت، كـــأن الرجولـــة قـــد هجـــرت الأرض أو أنـها باتت عاقرًا.

فـــي ليلـــة مـــن ليـــالي الصـــيف الحارقـــة، جلـــس خالـــد فـــي بيتـــه البســـيط يكتـــب قصـــيدة جديـــدة للقـــدس. كـــان قلمـــه ينـــزف كمـــا ينـــزف قلبـــه، فكـــل كلمـــة تحمـــل فـــي طياتهـــا ألم أمّة بأكملها. كتب:

"أيا قدس، يا سيدة السلام،

ألا تخبري السماء أن الأرض خانتك؟

ألا تخبـــري القمـــر أن النجـــوم قـــد أطفـــأت نورها؟

لكنني أرى فيكِ ابتسامة غريبة،

فلماذا تبتسمين؟"

وفي تلك الليلة، وبينما هو غارق في أفكاره، زاره حلم غريب. رأى فيه القدس في هيئة امرأة شامخة، ترتدي ثوبًا أبيض يليق بالملوك، وتضع على رأسها تاجًا من نور. اقتربت منه وقالت بصوت كأنه صدى الملائكة: "يا خالد، لا تحزن. إن الله وعد، ووعد الله حق. ستعود الكرامة، وستُرفع رايات النصر فوق أسواري. لكن قبل ذلك، لا بد أن يمتحن الله قلوب عباده، فمن يصمد، ومن يخون؟"

استيقظ خالد على وقع كلماتها. كانت رؤياه كالبرق الذي يشق عتمة الليل، فأيقن أن عليه أن يتحرك. قرر أن يترك

قريته الصغيرة ويذهب إلى القدس. لم تكن الرحلة سهلة، فقد واجه الكثير من الصعاب، لكن كل خطوة كان يخطوها كانت تقرّبه من هدفه.

حين وصل إلى القدس، وجدها كما تخيّلها: حزينة، لكنها شامخة. تجوّل في شوارعها، ولمس جدرانها القديمة، كأنما كان يستمد القوة من تلك الأحجار. في الأقصى، جلس مع مجموعة من الشباب الذين قرروا أن يقفوا في وجه الاحتلال، حتى لو كان ذلك يعني التضحية بحياتهم. قال لهم خالد: "القدس لا تحتاج إلى كلمات ولا إلى شعراء يذرفون الدموع. القدس تحتاج

إلى رجال يؤمنون بأن الحرية لا تُشترى بالمال، بل تُنتزع بالدماء."

بدأ خالد معهم رحلة المقاومة، وكان كل يوم يرى فيها كيف أن الروح الجماعية قادرة على تحريك الجبال. كانوا يعلمون أن العالم كله تخلى عنهم، لكنهم كانوا يؤمنون أن الله معهم، وأن النصر قادم لا محالة.

وفي إحدى الليالي، بينما كان خالد يتأمل سماء القدس، رأى طيفًا من النور يشق السماء. تذكر كلمات المرأة التي رآها في حلمه، وتذكر وعد الله. فقال بصوت عالٍ: "يا قدس، اصبري. فالظلام مهما طال، لا بد أن ينجلي، والنصر الذي

وعـدتكِ بـه السـماء، مكتـوبٌ، ومحفـورٌ فـي صفحات القدر."

وفـي تلـك اللحظـة، شـعر أن القـدس تبادلـه الابتسـام، كأنهـا تخبـره بـأن موعـدها مـع الحرية قريب، قريب جدًا.

***

ميلاد في أرض الأنبياء

في أرضٍ طاهرةٍ تحمل عبق الأنبياء ورائحة الدماء الزكية، حيث السماء تتوشح بالغيوم كأنها تبكي على حالها، وصرخات الحق تعلو في الأفق، وُلد طفلٌ لم يكن كغيره من الأطفال. لم تكن ولادته حدثًا عابرًا؛ بل كانت أشبه بوميض برقٍ في ليلٍ دامس. كان قدَر هذا الطفل أن يُخلق في أرضٍ لا تعرف السكون، في فلسطين الحبيبة، التي أبت أن تكون إلا موطنًا للشهداء والرجال العظام.

كانت أمّه، امرأةً عظيمةً في صبرها، ملاكًا في رحمتها، مجاهدةً لا تعرف الوهن. سقت طفلها بماء الإيمان منذ

اللحظة الأولى، واحتضنته بكلمات القرآن التي كانت تُرتلها في جوف الليل، فيتغلغل صوتها إلى أعماق روحه الغضة، فينمو على العزة والإباء. لم يكن هذا الطفل كغيره من الأطفال الذين يعيشون في كنف الرخاء، يلهون في الحدائق، ويتسلون بألعابهم الصغيرة. كان عالمه مختلفًا، عالمًا من دماء وأشلاء، من صراخ الثكالى واليتامى، ومن نداءات الموت التي لم تغب عن مسامعه.

طفولة خارج حدود الطفولة

كبر الطفل وهو يشاهد مشاهد تقشعر لها الأبدان. كانت عينه الصغيرة ترى ما لا تطيق رؤيته الجبال؛ جثثًا ملقاةً على الأرض، دماءً تسيل في الطرقات، وأشلاءً متناثرةً كأنها شظايا من قلب الإنسانية المكسور. لكنه، على الرغم من ذلك، لم يعرف الخوف طريقًا إلى قلبه. لم يكن يخشى الموت، بل كان يراه جزءًا من حياته، رفيقًا دائمًا لا ينفصل عنه.

لم يذهب هذا الطفل إلى المدارس كما يفعل أقرانه في العالم، بل كانت مدرسته الشوارع المشتعلة بالحجارة، والمواجهات مع جنود الاحتلال. تعلم

فيهـــا دروس الرجولـــة والشـــجاعة، وحفـــظ فيهـــا معـــاني التضـــحية والكرامـــة. كـــان يـــرى فـــي عينـــيّ أمـــه الصـــابرة قـــوةً تزلـــزل جبـــال الظلـــم، وفـــي كلماتهـــا الدافئـــة نـــورًا يشـــق ظلام القهر.

صوت الحق في وجه الباطل

في أحد الأيام، وبينما كان الطفل يلهو بحجارته الصغيرة في زقاق قريته، جاء صوت الرصاص يخترق الهدوء المشوب بالخوف. نظر حوله فرأى الجنود يقتحمون البيوت، يعتدون على النساء، ويروعون الأطفال. لكنه لم يهرب كما فعل الآخرون، بل وقف كأنه جبلٌ شاهقٌ لا يهزه شيء. أخذ حجره الصغير وألقاه بكل ما أوتي من قوة. لم يكن الحجر ليُسقط جنديًا، لكنه أسقط وهم القوة الذي يحيط بهم.

كان هذا المشهد بداية لحياةٍ جديدة. لم يعد الطفل طفلًا بعد ذلك اليوم، بل أصبح رمزًا للثورة، صوتًا يصدح بالحق في

وجـــــه الباطــــــل، ويــــــدًا صـــــغيرة تضــــــرب بحجرها في وجه الطغيان

الخذلان العربي

وفي الوقت الذي كان الطفل يكبر فيه على صوت الرصاص وصور الأكفان، كان العالم العربي يغط في سباته العميق. دول تزعم الإسلام، وحكّام يدّعون الشرف، لكنهم كانوا صخورًا صماء أمام صرخات فلسطين. لم يحركهم مشهد الدماء، ولم تهزهم صيحات الثكالى والأيتام.

كان الطفل يتساءل في نفسه: أين هم أحفاد الرجال الذين فتحوا الدنيا بأيديهم، أين أولئك الذين كانوا يغزون وينتصرون للحق؟ لقد خدعهم الغرب وألهتهم الدنيا عن قضيتهم.

ميلاد رجل من تحت الأنقاض

كبر الطفل وأصبح شابًا، لكنه لم يفقد براءة روحه، ولم تزل تلك النظرة الثاقبة في عينيه. أصبح قائدًا في قريته، رمزًا للصمود، شعلةً لا تنطفئ في وجه الظلم. كان يخرج في الليل يتفقد حال أهله، يجمع الأطفال، يحكي لهم قصص الأبطال والشهداء، ويعلمهم كيف يكونون رجالًا في زمنٍ عز فيه الرجال

كان الطفل رمزًا للأمل، شعلةً تُضيء الطريق لمن أضلهم الظلام. كانت فلسطين تنادي، والدماء الزكية تسقي أرضها، لكن السؤال الذي ظل معلقًا: هل سيستفيق العرب من سباتهم؟ هل سيدركون أن فلسطين لا تحارب من أجل

نفسها فقط، بل من أجل شرفهم المهدور، وعقيدتهم التي تُذبح كل يوم؟

رغم الألم والخذلان، بقيت فلسطين شامخةً، وبقي ذلك الطفل، الذي كبر ليصبح رجلًا، يقاتل من أجل الحق، ويرفع راية الكرامة في وجه الطغيان.

كانت قصته تذكيرًا للعالم أن الشجاعة لا تعرف عمرًا، وأن الأبطال يولدون من تحت الأنقاض.

قلمي محاربٌ، وإن كان بلا سيفٍ ولا درعٍ،
إنه ينبضُ كقلبِ الأحرار، يشهدُ على المظالمِ ويصرخُ بالحقّ.
يفعلُ القلمُ ما تعجزُ عنه الجيوشُ مهما عظمت،
يفتحُ العيونَ التي أغلقتها الخيانةُ،
ويوقظُ الضمائرَ التي نامت في غفلةٍ،
ينقشُ على صفحاتِ الزمنِ صرخاتِ المظلومينَ،
ويُشعلُ نارَ الحريةِ في قلوبِ البائسين.
أحملُ في طياتِه قضيتَي،
قضيةَ شعبٍ تاهَ في ظلماتِ الاحتلالِ،
قضيةَ أرضٍ جُرِّدت من كرامتها،
قضيةَ فلسطينَ التي جُرحت ولم تجد مداويًا،

فلســـطينُ، يـــا زهـــرةَ الشـــرقِ التـــي ذبلـــتْ تحتَ سياطِ القهرِ،

يا دمعةً في عينِ الأحرارِ لم تجفَّ،

يا أمًّا أوجعها هجرُ أبنائها،

ويـــا أختًـــا خانهـــا إخوتهـــا فتركوهـــا للوحـــوشِ تنهشُ لحمَها.

يا أمةً أضاعت كرامتها بيدها،

يا ملوكَ الرملِ، يا أسيادَ السرابِ،

أيـــن أنـــتم مـــن دمـــاءِ الأطفـــالِ التـــي تـــروي أرضَ فلسطينَ؟

أيـــن أنـــتم مـــن صـــيحاتِ النســـاءِ فـــي ظلمـــاتِ الليلِ؟

أمـــا تـــرون كيـــفَ يتســـاقطُ الزيتـــونُ مـــن أشجارِه؟

كيفَ يُهدمُ البيتُ على ساكنيه،

وكيـــفَ تُســـرقُ الأرضُ مـــن تحـــتِ أقـــدامِ أهلها؟

أين هي نخوةُ العروبةِ؟

أين صهيلُ الخيلِ؟ وأين صوتُ الكرامةِ؟

لقد صرتم عبيدًا للذلِّ والهوانِ،

تتفرجـــونَ علـــى فلســـطينَ وكأنهـــا ليســـت جزءًا من جسدِكم،

وكأنَّ ألمها لا يمسُّ أرواحَكم،

وكأنَّ دماءَها ليست من دماءِ أجدادِكم.

لكن فلسطينَ ليست بحاجةٍ إلى خذلانِكم،

فهي شامخةٌ كنخيلِ الصحراءِ،

جذورها مغروسةٌ في أعماقِ الأرضِ،

تقاتـــلُ، تصـــمدُ، تُعلّـــمُ العـــالمَ أن الحـــقَّ لا يموتُ،

وأن الظلـــمَ وإن طـــالَ أمـــدُهُ، فـــإن نهايتَـــهُ محتومةٌ.

فلسطينُ ليست وحدَها،

اللهُ معها، وعدُ السماءِ قد أُبرم،

وأيُّ وعدٍ أعظمُ من وعدِ اللهِ؟

سيأتي يومٌ ينكسرُ فيه قيدُها،

ستتحررُ رغم أنفِ الطغاةِ،

رغم خذلانِ القريبِ ومؤامراتِ البعيدِ.

سيعلو أذانُ الحقِّ من أقصاها،

سيهتفُ رجالُها: اللهُ أكبر،

ستعودُ فلسطينُ إلى صدرِ الأمةِ،

وتعودُ الأمةُ إلى رشدها.

فيا من خذلتموها، أين المفرُّ؟

كيـــف تواجهـــونَ العـــارَ الـــذي التصـــقَ بجبينِكم؟

كيــف تُنقّــونَ صــفحاتِكم الســوداءَ مــن خيانــةٍ
كتبها التاريخُ بحبرٍ لا يُمحى؟
إن يومَ فلسطينَ قادمٌ لا محالة،
هو وعدٌ لا يخلفه الله،
فاصبروا يا أحرارَ الأرضِ،
اصــبروا يــا مــن تقفــونَ فــي الصــفوفِ
الأولى،
يا من لا تهابونَ الظلمَ ولا الرصاصَ،
إنكم على الحقِّ، والحقُّ أسمى وأبقى.
قلمي سيظلُّ يحاربُ،
لن يتوقفَ عن صرخاتِه،
لن تخفتَ كلماتهُ،
حتى ترى فلسطينُ فجرَها المنشود،
حتى تتحققَ الحريةُ،
وحتى تنكسرَ قيودُها،

ويُكتبُ في صفحاتِ التاريخِ:

"فلســـطينُ انتصـــرت، والخونـــةُ انـــدحروا،

والحقُّ عادَ إلى أهله."

فلسطينُ، يا سيدةَ الأرضِ المقدسة، يا رمزَ العزةِ والكرامةِ، يا مهدَ الإيمانِ الذي أضاءَ الكونَ بأنوارِ الحقِّ، كيفَ يمكنُ لكِ أن تُوصَفي بكلماتٍ وقد احتوتِ على ما يعجزُ اللسانُ عن الإحاطةِ به؟ فيكِ تقاومُ الأمةُ ظلمَ المحتلِّ بقلوبٍ صادقةٍ، وأرواحٍ طاهرةٍ، وعزائمٍ لا تلين. كلُّ ركنٍ من أركانِكِ، وكلُّ شبرٍ من أراضيكِ، يحملُ في طياتهِ قصةَ صمودٍ غير قابلةٍ للزوال.

كيفَ لا تزدادُ عزيمتكِ يا فلسطين، وقد واجهتِ قسوةَ الزمانِ بكلِّ ما أوتيتِ من قوةٍ وإيمان؟ فيكِ ارتفعَ صوتُ الحقِّ وسطَ ضجيجِ الظلمِ، وانتفضَ الشعبُ الفلسطينيُّ بوجهِ الاحتلالِ بكلِّ شجاعةٍ

وإصـــرارٍ علـــى اســـتعادةِ كرامتـــهِ وأرضـــه.
فيـــكِ تولـــدُ البطـــولاتُ كـــلَّ يـــومٍ، وفيـــكِ يكتـــبُ الأبطـــالُ ملاحمَهـــم ليبقـــى إســـمُكِ خالـــدًا فـــي الـــذاكرةِ، محفـــورًا فـــي قلـــوبِ الأحـــرارِ فـــي كلِّ مكان.
فلســـطينُ، يـــا مَـــن تعيشـــينَ فـــي قلـــبِ كـــلِّ فلســـطينيٍّ، وفـــي نـــبضِ كـــلِّ عربـــيٍّ، أنـــتِ كمـــا كنـــتِ علـــى مـــرِّ العصـــور، الفجـــرُ الـــذي يبـــددُ ظـــلامَ الليـــلِ، والأمـــلُ الـــذي يعيـــدُ الحيـــاةَ إلـــى النفـــوسِ. يـــا أرضَ الشـــهداءِ، يـــا مَـــن أرضـــعتِ أطفالَـــكِ الحليـــبَ والـــدماءَ معًـــا، يـــا مـــن تشـــهدُ مآذنُـــكِ علـــى صـــمودِ أهلِهـــا، ورغـــمَ القســـوةِ والظلـــمِ، لا تـــزالُ تلملمـــينَ جراحكِ بأملٍ يُشرقُ في كلِّ صباحٍ.

أيها العالمُ، هل تدركُ معنى فلسطين؟ هل تستطيعُ أن ترى الحقيقةَ التي نعيشُها؟ في فلسطينَ، لا مكانَ للضعفِ أو الخوفِ، بل كلُّ شيءٍ يعلو بروحِ الأبطالِ، الذين لا يرضونَ إلا بالحريةِ الكاملةِ. هنا، في فلسطينَ، كلُّ بيتٍ هو قلعةٌ، وكلُّ شارعٍ هو ميدانٌ للنضالِ، وكلُّ حجرٍ هو شهادةٌ على مظالمِ هذا العالمِ. وكلُّ دمٍ سُفكَ في الأرضِ هو وعدٌ بالنصرِ قريبٍ.

إنَّ فلسطينَ هي الأرضُ التي ترفضُ الاستسلامَ، التي لا تعرفُ الهزيمةَ، وتحتضنُ كلَّ المخلصينَ في هذا العالمِ الذين يتطلعونَ إلى الحريةِ كحقٍ طبيعيٍ. يا أهلَ فلسطين، إنكم لا تحملونَ في

قلوبكم مجردَ حلمٍ صغيرٍ، بل أنتم في سعيٍ دائمٍ لتحقيقِ النصرِ الذي لا يمكنُ أن يغيبَ. إنَّ يومَ العودةِ قريبٌ، وإنَّ فجرَ الحريةِ آتٍ، مهما حاولَ الاحتلالُ أن يغطيه بالظلام.

يا فلسطينُ، رغمَ جراحكِ العميقة، ورغمَ كيدِ أعدائكِ، إلا أنَّ شمسَ الحقِّ ستظلُّ تشرقُ في سمائكِ. لن يطولَ الظلمُ، ولن تستمرَّ معاناتكِ، فإرادتُكِ لا تُكسر، وعزيمتُكِ لا تهتزُّ. سيأتي يومٌ يتنفسُ فيه أطفالُكِ هواءَ الحريةِ، ويقفُ فيه شيوخُكِ شامخينَ وهم يرونَ الوطنَ يعودُ إلى أحضانِهم، وتنعمُ فيه الأرضُ بالأمانِ والسكينةِ.

اليـــومَ، فلســـطينُ ترفـــعُ رأســـها عاليـــا، والمقاومـــةُ مســـتمرةٌ، والنضـــالُ لا يتوقـــفُ. أنـــتم، يـــا أبنـــاءَ هـــذا الـــوطنِ، أنـــتم الأمـــلُ الـــذي لا يمـــوت، أنـــتم الـــذين تعلمـــتم أن الحيـــاةَ لا تكتمـــلُ إلا بالحريـــةِ، وأن الأرضَ لا تُحـــرَّرُ إلا بالـــدماءِ. فـــي فلســـطينَ، لا مكـــانَ للضـــعفِ، بـــل كـــلُّ شـــيءٍ فـــيكم يـــرفضُ القهـــرَ، ويســـعى نحـــو التحريـــرِ، والعـــودةِ إلى الوطنِ.

فلســـطينُ، يـــا أمَّ الأبطـــالِ، يـــا أرضَ المقاومـــةِ، يـــا صـــوتَ الحـــقِّ الـــذي لا يُســـكتُ، ســـتكونينَ، كمـــا كنـــتِ دائمًـــا، رمـــزًا للكرامـــةِ، والمجـــدِ، والحريـــةِ. فيـــكِ تُكتـــبُ فصـــولُ النصـــرِ القادمـــةِ، وفيـــكِ ســـتظلُّ الأرواحُ التـــي استشـــهدت مـــن أجلِـــكِ أحيـــاءً

فـــي القلـــوبِ. فـــلا يُمكـــنُ أن تـــذبلَ زهـــورُكِ، ولا أن تتلاشـــى أحـــلامُ أطفالِـــكِ، لأنَّ حقَّـــكِ لا يموتُ، والأملُ في عيونِكِ لا يغيبُ.

بين الأنقاض يولد الأمل

يا طفلَ غزةَ، يا نورَ المساءِ
أنتِ البراءةُ في دربِ العناءِ
ترقصينَ بينَ الأنقاضِ بلا عناءِ
وفي عيونِكِ يقينٌ لا يَسْتَجْبِي للفتاءِ
أنتِ الأملُ، رغمَ كلِّ الوعاءِ
وفي قلبِكِ حلمٌ يَطردُ الشقاءَ
أنتِ الأفقُ في وجهِ الظّلامِ الشّقي
وتمشينَ في صمتٍ دونَ المدى
وفي عيونِكِ إشراقةٌ تفضحُ الأعداءَ
تسيرينَ رغمَ كلِّ ما جَاءَ
وفي شفتيكِ يبقى الزهرُ وارتقاءَ
يا من تمسكينَ الحياةَ في قلبِ الأسى
أنتِ السّلامُ في وجهِ الطوفانِ
رغمَ الجراحِ، أنتِ الضياءُ في المكانِ

تسيرينَ في دربٍ يشقُّه النّيرانِ
وفي قلبِكِ ينبضُ الأملُ كما الجنانِ
أنتِ الأملُ الذي لا يُطفأُ في المدى
وفي عيونِكِ يسكنُ النصرُ والبقاءُ
يا زهرةَ غزةَ، يا لحنَ الصباحِ
أنتِ البراءةُ في زمنِ المِلاحِ
وفي قلبكِ الحلمُ لا يعرفُ التَّلاحِ
رغمَ الفقرِ والدماءِ، أنتِ السّراحِ
تزرعينَ الأملَ في قلبِ الرمادِ
يـا مـن تبقـينَ فـي الـذاكرةِ نجمـةً، تتـألَّقُ بعـدَ الفَجَاعِ

أهل القدس قومٌ جُبلوا على الإيمان، وصُنعوا من صلابة لا تُكسر، وثبات لا يزول، وكأنهم خُلقوا من طينة ممزوجة بالإيمان واليقين. نشأوا في رحاب القرآن، وترعرعوا تحت ظل الإسلام، فعُطرت أرواحهم بنور الهداية، وزُرعت في قلوبهم بذور العزيمة التي لا تذبل. هم أناسٌ يشبهوننا في خلقتهم، ولكن شتان بين من سقوا أنفسهم من ينابيع الإيمان الصافية، ومن شربوا من مستنقعات الدنيا العكرة. فكانوا كنجوم في السماء، يضيئون الظلمات، ويسيرون بين الناس كأنهم رسل العز والمجد.

هـــــم قـــــومٌ أيقنـــــوا أن الأرض لله، وأن ملكوتهـــا لا يُمـــنح إلا لمـــن يســـتحق، فربطـــوا مصـــائرهم بـــدينهم، وتشـــبثوا بحبـــل الله المتـــين، لا يضـــرهم مـــن خـــذلهم، ولا تـــوهن عـــزائمهم أهـــوال الزمـــان. فـــي وجـــوههم أثـــر الســـجود، وفـــي عيـــونهم بريـــق الصـــمود، كـــأن الله اختصـــهم مـــن بـــين عبـــاده بـــأن يكونـــوا شـــعلة النـــور فـــي زمـــنٍ كثـــرت فيـــه الظلمـــات. تـــرى فـــي نظـــراتهم يقينـــاً لا يتزعـــزع، وفـــي خطـــواتهم قـــوة لا تُجـــارى، كـــأنهم يســـيرون علـــى الأرض وهـــي تخشـــى وطـــأ أقـــدامهم، فتُعطـــر أنفاسها بأريج الجنة.

رغـــم أن الـــبلاء قـــد أثقـــل كـــواهلهم، ورغـــم أن الظلـــم قـــد أحـــاط بهـــم مـــن كـــل جانـــب، لـــم

ينحنوا ولم ينكسروا. إنهم صامدون في وجه الطغيان، متماسكون بأرضهم التي تنطق بحبهم، وتبكي شوقاً لخطواتهم. هم كالجبال الراسيات، مهما عصفت بهم الرياح، بقوا ثابتين، لا تزيدهم المحن إلا إيماناً، ولا تضاعفهم الكروب إلا صلابة. مجالسهم عامرة بذكر الله، وأصواتهم تعلو بآيات الكتاب المبين، كأنهم قد جعلوا من بيوتهم محراباً دائماً، ومن حياتهم صلاةً لا تنقطع.

إنهم قومٌ أدركوا أن هذه الدنيا دار عبور، وأنها قد امتلأت بالفساد والطغيان، فزهدوا فيها، وعلقت قلوبهم بالآخرة، حيث لا ظلم ولا جور. اختاروا طريق الجهاد في سبيل الله، ليس حباً في

الموت، بل يقيناً بأن الموت في سبيل الحق هو الحياة الحقيقية. إنهم يرون في كل شهيد منهم جسراً يمتد إلى الجنة، وفي كل قطرة دمٍ تراق من أجل عقيدتهم نوراً يُضيء لهم طريق الخلود.

يا لروعة هؤلاء القوم! كأنهم خلقوا ليكونوا قدوةً للعالمين، ومثلاً يُضرب في الثبات والإيمان. الأرض تضيق عليهم بما رحبت، لا لأنهم ضعفاء، بل لأنهم أعظم من أن تحتويهم. إنهم يستحقون الجنة، حيث لا فقر ولا قهر، وحيث العدالة المطلقة والنعيم الأبدي. تركوا الدنيا خلف ظهورهم، ورموا شهواتها تحت أقدامهم، لأن أرواحهم سمت إلى ما

هو أعظم، وقلوبهم تعلقت بما عند الله من نعيمٍ مقيم.

هؤلاء هم أهل القدس، رمز الرجولة والعزة، أبطال الإسلام وعنوان الكرامة. إنهم آية من آيات الله في الأرض، وحجةٌ على كل متخاذل. سطروا بدمائهم تاريخاً لن يُنسى، وأثبتوا أن العزيمة والإيمان أقوى من كل أسلحة الطغاة. فسلامٌ عليهم يوم ولدوا، وسلامٌ عليهم يوم يجاهدون، وسلامٌ عليهم يوم يلقون الله، وهم راضون مرضيون.

رواية

"أرض الزيتون والجهاد"

في قلب فلسطين، حيث الجبال الشامخة تلامس السماء، والوديان العميقة تحتضنها الأرض بحب، كانت القرية الفلسطينية الصغيرة على رأس تلٍ مرتفع، تشرف على سهولها الممتدة بقدر ما ترى العين. كانت الأرض هناك غنية بأصالتها، تروي حكايات الأجداد الذين عاشوا عليها، ودفنوا جذورهم في ترابها. كانت قريةٌ هادئة، لا تعرف ضجيج المدن، ولا صخب الحياة المعاصرة. كان أهلها يعيشون على الزراعة، وعلى عمل أيدهم، وخصوصًا

على شجرة الزيتون التي كانت تمثل الحياة نفسها بالنسبة لهم، أكثر من مجرد شجرة، بل كانت رمزًا للهوية والصمود.

في منزل بسيط يقع في أطراف القرية، كان يعيش أبو أحمد مع زوجته أم أحمد وابنته سارة. كان أبو أحمد من أولئك الرجال الذين لا يعرفون سوى العمل الشاق، لم يعرف قط الاستسلام، وكان كل صباح يخرج ليعتني بشجرة الزيتون في بستانه، ويطعم الأرض حتى تنبت ثمارها الطيبة. كان يروي لهما قصصًا عن هذه الشجرة التي زرعها والده، وكيف أن الزيتون كان رمزًا للوفاء بالأرض مهما كانت التحديات. كان يعلم

ابنته سارة أن الأرض التي تقف عليها ليست ملكًا لهم فقط، بل هي إرثٌ من الأجداد، وأن كل بذرة زيتون هي وعدٌ بالمقاومة والكرامة. كانت سارة، الصغيرة في عمرها، تفهم جيدًا تلك الدروس التي يحملها والدها في قلبه، وكان حبها للأرض يزداد يومًا بعد يوم.

في كل صباح، كان أبو أحمد يستمع إلى القرآن الكريم عبر المذياع، وكأن الكلمات تتسرب إلى قلبه لتمنحه القوة. كانت سورة الإسراء هي المفضلة لديه، حيث كان يشعر بالطمأنينة تسري في جسده وهو يستمع إلى الآيات التي تطمئنه بأن الله لن يترك شعبه. كان صوت القارئ يعانق الأرض والسماء

معًا، وتخترق الكلمات السكون ليملأ الأمل كل زاوية من زوايا البيت. كان كلما استمع إلى الآيات، يقول لنفسه: "الأرض لنا، هذا وعد الله، مهما حاول الاحتلال أن ينهبها."

كانت القرية الصغيرة هذه تسبح في الهدوء الذي يسبق العاصفة، عاصفة كانت قادمة لا محالة. في يوم من الأيام، بدأ صدى الأخبار ينتشر كالنار في الهشيم: "الاحتلال الصهيوني يبدأ هجومًا جديدًا على الأراضي الفلسطينية." كان هذا الخبر هو بداية الكابوس الذي بدأ يطارد الفلسطينيين في كل مكان. بدأ الجيش الإسرائيلي يزحف عبر الأراضي الفلسطينية،

ويقتحم المدن والقرى، ويخرب كل شيء في طريقه. كانوا يهدمون المنازل، ويجرفون الزروع، ويعتقلون الرجال، ويطردون النساء والأطفال من بيوتهم. كان الاحتلال يعتقد أنه قادر على اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم، وتغيير معالمها إلى الأبد، لكنهم نسوا شيئًا أساسيًا: أن الأرض الفلسطينية لا يمكن اقتلاعها من جذورها، لأنها الأرض التي وُجدت من أجل المقاومة.

عندما دخل جنود الاحتلال القرية، كانت الأمواج الهائلة من الدبابات والسيارات العسكرية تُحدث صوتًا مرعبًا في سماء القرية الهادئة. لكن الناس في القرية، رغم القصف والدمار، كانوا يقفون أمام

الجنود بكل شجاعة. كان أبو أحمد يقف مع جيرانه وأهله في ساحة القرية، يصرخ في وجه الاحتلال: "لن تقتلعونا من هنا! هذه أرضنا ولن نغادرها أبدًا!" كانت كلمات أبو أحمد تعبر عن مشاعر الفلسطينيين جميعًا. كانوا يدركون أن هذا هو التحدي الأكبر، لكنهم كانوا مستعدين له.

أما أم أحمد، التي كانت تحاول تهدئة سارة في الداخل، كانت قلقة ولكن قلبها مليء بالإيمان. كانت تجلس مع ابنتها على الأرض، تحاول أن تخفي عنها حجم الفوضى التي كانت تحدث في الخارج، وتقول لها:

_"هـذه أرضـنا، هـذه ليسـت مجـرد تـراب، بـل هـي شـرفنا، وعزتنـا. لـن يقـدروا علـى اقتلاعنا، طالما أن لدينا الله في قلوبنا."

أول مـا فعلـه الاحـتلال كـان مداهمـة المنـازل وتهـديمها. فـي لحظـةٍ قصـيرة، أصـبح البيـت الـذي كـان يـؤويهم، والـذي كـان مليئًـا بالأمـل، مجـرد أنقـاضٍ تحـت أقـدامهم. لكـن رغـم ذلـك، لـم يختـفِ الأمـل مـن قلـوبهم، بـل كـان يزيـد أكثـر. قـرر أبـو أحمـد أن يخـرج إلـى الشـارع مـع جيرانـه، أن يقـاوم الاحـتلال، أن يعلـن للعـالم أن هـذا الشـعب لا يمكـن أن ينكسـر. بـدأ النـاس يجتمعـون فـي سـاحات القريـة ويعقـدون الاجتماعـات السـرية. كـانوا يخططـون لقتـالٍ طويـلٍ، لأنهـم كـانوا يعلمـون أن

الاحتلال لا يريد أن يرحل، ولكنه سيظل يدافع عن أرضه حتى آخر لحظة.

مرت الأيام، والقتال بين الفلسطينيين والاحتلال كان يشتد. في تلك الأيام العصيبة، لم يكن لأهل القرية إلا الإيمان بالله والسلاح البسيط الذي يحملونه. كانوا يواجهون الجنود الصهاينة بالحجارة، ولكن قلوبهم كانت تحمل سيوفًا من فولاذ، كانت تحمل عزيمة لا تهزم. كان الجنود يطلقون النار على الفلسطينيين، ولكن هؤلاء كانوا يصرخون في وجههم: "لن تهزمونا، ولن تقتلعونا من هنا!"

ومع مرور الوقت، أصبح الشعب الفلسطيني أكثر تصميما على مقاومة

الاحتلال. كان الرجال يتسللون في الليل، ينفذون عمليات فدائية ضد الجنود الصهاينة، بينما النساء والطفلات كانوا يزرعون الأرض، ويحافظون على الزيتون، يملئون الأرض بعرقهم وأملهم.

في قلب كل معركة، وفي كل لحظة ضعف، كان صوت المذياع يتسلل إليهم ليذكرهم بأن النصر آتٍ لا محالة، لأن وعد الله لا يخلف. كانت القرية الصغيرة تزداد قوة وصلابة. كان الشعب الفلسطيني يرى في شجرة الزيتون رمزًا للصمود، رمزًا للبقاء، ورمزًا لحقهم في الأرض.

ولكن الاحتلال لم ييأس، بل كان يزيد من هجماته، ويقصف المنازل، ويقتل الأبرياء. ورغم قسوة الأيام، ورغم ما يعيشه الفلسطينيون من ألم وفقدان، كانوا يظلون صامدين في وجه الهجمة الشرسة. كانوا يعرفون أن التضحيات التي يقدمونها ستظل محفورة في ذاكرة التاريخ، وأن النصر الذي ينتظرهم سيكون أكبر من كل الآلام التي مروا بها.

مرت سنوات، والشعب الفلسطيني يواصل مقاومته، يبني وطنه من تحت الركام. كانت شجرة الزيتون لا تزال شامخة في حديقة أبو أحمد، وقد تكاثرت أغصانها وأزهرت في كل مكان، لتكون

رمـــزًا لثبـــات الأرض الفلســـطينية. وكانـــت قريـــة أبـــو أحمـــد، علـــى الـــرغم مـــن الـــدمار والـــدماء، لا تـــزال تعـــيش فـــي قلـــوب أبنائهـــا، وكانـــت الأمـــواج التـــي تحملهـــا الريـــاح تتنقـــل عبـــر الأفـــق، لـــتعلن للعـــالم أن فلســـطين ســـتظل حيـــة، رغـــم كـــل المحـــاولات لقتلها.

وفي آخر فجرٍ بعد

فلسطين

أرض الأمل ومهد الجهاد

فلســـــطين، الأرض التـــــي لا تشـــــبهها أي أرض، والتـــي لا يمكـــن لأي قلـــبٍ أن ينســـى مـــا تحمـــل مـــن آلام وآمـــال. هـــي أكثـــر مـــن مجـــرد مســـاحة جغرافيـــة، بـــل هـــي رمـــزٌ للحريـــة، وصـــوتٌ للمقاومـــة، وحلـــمٌ لا يمـــوت. إنهـــا الأرض التـــي شـــهدت أعظـــم التضـــحيات وأجمـــل قصـــص الصـــمود، والتـــي لا تـــزال رغـــم كـــل التحـــديات، تقـــف شـــامخة أمـــام الظلـــم والاحـــتلال، لتبقـــى درة الأرض، ووردة الشـــــموخ فـــــي قلـــــوب الأحرار.

فلسطين: التاريخ الذي لا ينتهي

تاريخ فلسطين ليس مجرد سردٍ للأحداث، بل هو رواية حية تتجدد كل يوم في نفوس الأجيال التي تلاحق حلم التحرير. تاريخها يبدأ من أول لحظة ارتبطت فيها الأرض بالسماء، من أول مرة استقبل فيها المسجد الأقصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلته المعراجية، عندما عانقته السماء فكانت نقطة البداية لهذه الأرض الطاهرة التي ستحمل في طياتها فصولًا من الجهاد والتضحية. وما زالت فلسطين، حتى اليوم، تقاوم وتنتصر بعزيمة أبنائها الذين لا يفقدون الأمل ولا يتراجعون.

المسجد الأقصى هو أيقونة القدس، هو القلب الذي ينبض بأسمى معاني

الإيمان، هو مكان معراج الأنبياء، وحلم المؤمنين. ولا يمكن لأحد أن يكتب عن فلسطين دون أن يتذكر الأقصى، حيث كانت أولى القبلتين، وبداية الطريق الطويل نحو تحرير الأرض.

التراب الفلسطيني: شاهد على التاريخ

فلسطين ليست مجرد أرض، بل هي أقدم من الزمن نفسه. في كل شبر من ترابها قصة، في كل زاوية من زواياها تاريخ طويل من النضال والصمود. فقد زرع الفلسطينيون أقدامهم في هذه الأرض، وقبل أن يحلموا بالحرية، زرعوا حب الوطن في قلوب أبنائهم، وفي عيونهم ظل الأمل يلمع رغم الجراح. هؤلاء الذين يحيون على أرض فلسطين، لم

يكونوا فقط مناضلين في معركة التحرير، بل كانوا رموزًا للعزة والإباء، ومصادر للقدوة للأجيال القادمة. فإن كل فلاح، وكل مقاتل، وكل أم، وكل طفل في فلسطين، يمثل عمادًا لهذا الوطن، وحجرًا في بناء تحريره.

التراب الفلسطيني ليس مجرد تراب، بل هو مادة تحمل في أعماقها دماء الشهداء وتضحياتهم. هذا التراب هو الذي ينبت في أرضه شجيرات الأمل، وتظل جذوره متجذرة في الأرض مهما تقلبت الأحداث. ومنه تنبثق أرواح الأبطال، وتظل الأيادي الفلسطينية معانقة هذا التراب بكل فخر واعتزاز،

لأنه هو الذي يحمل تاريخ أجدادهم، وهو الذي سيشهد على نصرهم القادم.

الشعب الفلسطيني: صمودٌ لا يعرف الاستسلام

شعب فلسطين، هو ذلك الشعب الذي لا يعرف الاستسلام. لقد قدمت فلسطين أجيالًا من المقاتلين، والشهداء، والأسرى الذين قضوا جزءًا كبيرًا من حياتهم في السجون والمعتقلات، ومع ذلك لم يتراجعوا عن حلمهم في الحرية. هؤلاء الأبطال الذين ضحوا بكل شيء من أجل فلسطين، أصبحوا رموزًا للأمة العربية والإسلامية بأسرها. لقد كانوا يقاومون الاحتلال، ويجسدون معركة

الوجـــود، ويؤكـــدون للعـــالم كلـــه أن فلســـطين لا يمكن أن تُقهر.

فـــي كـــل بيـــت فلســـطيني، يوجـــد بطـــل، وفـــي كـــل زاويـــة، هنـــاك قصـــة جهـــاد، ورغـــم الجـــراح التـــي لا تعـــد ولا تحصـــى، فـــإن الشـــعب الفلســـطيني لا يـــزال يقـــاوم. هـــم لا يحملـــون فقـــط ســـلاح المقاومـــة، بـــل يحملـــون حلـــم العـــودة، وحلـــم الحريـــة، وحلـــم بنـــاء دولـــة فلســـطينية عاصـــمتها القـــدس. هـــذا الحلـــم الـــذي لا يتوقـــف مهمـــا كانـــت التحـــديات، هـــو المحـــرك الـــذي يـــدفعهم للاستمرار في النضال.

إنهـــم لا يتوقفـــون عـــن الـــدفاع عـــن أرضـــهم، ســـواء فـــي ســـاحات المعـــارك أو فـــي ســـاحات السياســـة، فالمقاومـــة الفلســـطينية هـــي أكثـــر

من مجرد قتال، هي ثقافة حياة، هي إصرار على أن فلسطين ستظل حرة رغم كل محاولات الطمس والتخويف.

النساء الفلسطينيات: درع المقاومة ومصدر الأمل

أما عن النساء الفلسطينيات، فهن جزء لا يتجزأ من هذه الملحمة. إنهن لم يكن مجرد خلفية للمقاومة، بل كن في طليعتها، يحملن السلاح، ويربّين الأطفال على حب الوطن، ويواجهن صعوبة الحياة في مخيمات اللاجئين، ويقدمن أبنائهن فداءً للأرض. هؤلاء النساء هن اللائي يعطين المعنى الحقيقي للشجاعة. إنهن لا يعرفن الخوف، ولا يتراجعن أمام قسوة الاحتلال. كان لهن دورٌ كبير

في دعم المجاهدين، وهن من كان لهن الفضل في حفظ الإرث النضالي للأجيال القادمة.

وقد قدمت فلسطين العديد من النساء اللواتي كن في مواقع القرار والمقاومة، مثل الأسيرة المحررة، والمرشحة للجنة الشرف في كل مكان، لأنهن رمز الصبر والتضحية. هؤلاء النساء لم يكن يقتصر دورهن على التحمل في الأزمات فقط، بل كنّ أيضًا رائدات في بناء المجتمع الفلسطيني، في التعليم، وفي الحفاظ على الهوية الوطنية. ومهما كانت الظروف صعبة، كانت النساء في فلسطين يتسابقن للعمل من أجل تحسين الواقع، ويبذلن جهودًا كبيرة في تربية

جيـــلٍ يـــؤمن بحريـــة الأرض ويـــؤمن بالمقاومة.

الأطفـــال الفلســـطينيون: طمـــوحٌ لا يعتـــرف بالحدود

أمـــا عـــن الأطفـــال الفلســـطينيين، الـــذين يولـــدون فـــي مخيمـــات اللجـــوء ويشـــاهدون المآســـي بـــأعينهم، فكـــانوا علـــى الـــرغم مـــن كـــل مـــا يمـــرون بـــه، يحملـــون فـــي أعيـــنهم أمـــلًا كبيـــرًا. هـــؤلاء الأطفـــال الـــذين شـــاهدوا أرضـــهم تســـلب مـــنهم، وبيـــوتهم تـــدمر، ومـــع ذلـــك، ظلـــوا يحملـــون فـــي قلـــوبهم حلـــم العـــودة، وحلـــم فلســـطين الحـــرة. لـــم يقبلـــوا بـــأن تكـــون معانـــاتهم مجـــرد ذكـــرى فـــي الكتـــب، بـــل جعلـــوا منهـــا دافعًـــا لأن يكونـــوا رجال المستقبل، وأبطال التحرير.

هـؤلاء الأطفـال هـم الأسـاس الـذي سـيقوم عليـه الـوطن فـي المسـتقبل. فهـم يربـون علـى أن فلسـطين هـي أكثـر مـن مجـرد قطعـة أرض، بـل هـي تـاريخ، وهـي هويـة، وهـي جهـاد لا ينتهـي. وعنـدما يكبـرون، يحملـون رايـة المقاومـة بأيـدٍ قويـة، ويعلمـون العـالم أن فلسـطين لـم ولـن تموت.

المقاومة الفلسطينية: أسطورة لن تنتهي

المقاومـة الفلسـطينية، منـذ نشـأتها، كانـت لا تُقهـر، هـي لـم تكـن مجـرد فصـائلٍ مسـلحة، بـل كانـت فلسـفة حيـاة، وثقافـة تنـبض فـي كـل شـارع، وفـي كـل حـارة، وفـي كـل قلـب فلسـطيني. كـل قطـرة دم، وكـل لحظـة جهـاد، كانـت ترسـم خارطـة

جديدة نحو الحرية. كانت المقاومة تُظهر للعالم أن الفلسطينيين لا يستسلمون، وأنهم مستعدون لبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل تحرير أرضهم.

ورغم كل أشكال التهديد والوعيد، فإن المقاومة الفلسطينية كانت وما زالت تحافظ على قوتها، بل وتزداد عنفوانًا. إنها مقاومة سياسية، ثقافية، وميدانية، تشهد على ذلك جميع العو

سأظل أدافع عن فلسطين بكل ما أملك من قوة،
حتى وإن جف قلمي وتوارى في زاوية الحزن،
سأواصل الكتابة عنكِ يا فلسطين،
عن الأرض التي لا تقبل المساومة،
عن القدس التي تبقى في قلب العروبة شامخة،
فأنتِ حكاية لا تنتهي، وعشق لا يموت.
سأكتب عنكِ حتى إذا خذلني الحبر،
إذا فرغ الزمان من كل فصوله،
فإن حبكِ في دمي، يا أرض الشهداء،
وكل دمعة على وجناتكِ هي وعد بالنصر.
يا فلسطين، يا زهراء العرب، يا من لا تخضعين للذل،

حتـــى وإن غـــاب عنـــكِ الأمـــل يومـــاً، فســـتظل شمسكِ ساطعة،

لـــن يطفـــئ ظلمهـــم ضـــوءكِ، ولـــن يخمـــد نارِكِ مهما كانت الرياح،

أنـــتِ الصـــخرة التـــي يـــتحطم عليهـــا جبـــروت الطغاة،

كلمـــا ظنـــوا أنهـــم اقتربـــوا مـــن غـــرس خنجرهم في قلبكِ،

خرجـــتِ أقـــوى، وارتفـــع صـــوتكِ أكثـــر فـــي السماء.

ســـأكتب عنـــكِ بـــالأحرف التـــي تعجـــز الكلمات عن وصفها،

حتـــى وإن تـــاه قلمـــي فـــي صـــحراء الحروف،

فسأظل أكتب عنكِ رغم صمت العالم،

حتـــى وإن عجـــزت عـــن إيصـــال صـــراخكِ إلى مسامعهم،

فـــإنني أعلـــم أن الحـــق لا يغيـــب، وأن الظلـــم زائل لا محالة.

يـــا القـــدس، يـــا قبلـــة قلوبنـــا، يـــا مـــن نحبـــكِ بـــلا حدود،

أنـــــتِ حكايـــــة الأرض والســـــماء، شـــــرف الأحرار،

أنـــتِ أولـــى القبلتـــين، وأنـــتِ وجـــه الله علـــى الأرض،

يا من تتسابق العيون إليها،

ســـتظل فينـــا، فـــي ذاكـــرة الأجيـــال التـــي لـــم تولد بعد.

وســـأكتب عنـــكِ حتـــى وإن عجـــزت عـــن التعبير،

فلـــكِ فـــي كـــل حـــرف نـــبض، ولـــكِ فـــي كـــل كلمة عشق،

لا تتخلي عن حلمكِ بالحرية، لأننا معكِ،

أنتِ فينا، ونحن فيكِ، مهما طال الزمن.

الظـــالمون مهمـــا حـــاولوا، لا بـــد أن الزمـــان سيقلب موازينهم،

فلســـطين لـــن تكـــون أرضـــاً ضـــائعة، ولـــن تكون لقمة سائغة،

عنـــدما يظـــن الأعـــداء أنهـــم نجحـــوا فـــي محوها،

ســـتولد فلســـطين مـــن جديـــد، مرفوعـــة الرأس، صامدة،

لأنـــكِ يـــا فلســـطين لا تُمحـــى مـــن ذاكـــرة الشـــعوب، ولا تغيـــب شمســـكِ عـــن قلـــوب الأحرار في كل مكان.

سأظل أكتب عنكِ بالأشعار والدموع،

سأكتب عن كل شبر فيكِ، عن كل حجر، عن كل نفس،

يا من علمتنا أن العزة لا تأتي إلا بالصمود،

وأن الحرية هي الثمن الذي ندفعه بكل فخر.

ولن ينسى التاريخ كيف خذلنا الأعداء،

وكيف حاولوا طمس هويتكِ، ولكنهم لن ينجحوا،

لأنكِ فلسطينية، عربية، وأنتِ القلب الذي لا يتوقف عن النبض،

في كل يوم ستشرق شمسكِ من جديد،

لتذكر كل من أراد زعزعتكِ بأنكِ لا تُكسر،

وأنـــكِ الحلـــم الـــذي ســـيظل مســـتمراً حتـــى يتحقق،

فلسطين ستظل حرة، والقدس ستعود،

كل حجر فيكِ سيتحدث عن أيام البطولة،

عـــن رجـــال ونســـاء ســـطروا التـــاريخ بدمائهم،

لن يمحوها التخاذل ولا الجحود،

فكـــل قطـــرة دم ســـقطت علـــى أرضـــكِ هـــي وعد بالنصر.

سأظل أكتب، أردد في صمتنا الثائر،

أردد "الله أكبر" في وجه الطغاة،

حتى وإن كانوا أعداء الأرض والحياة،

فلسطين حتماً ستتحرر،

والقدس ستشرق من جديد،

لا خوف على الشعب الذي يقاوم،

ولا يأس في قلب من يؤمن بحقه،

يا فلسطينيين، يا أهل الأرض المباركة،

ستظل الثورة في قلوبكم،

وستظل الحرية تنتظرنا على بوابات الأمل،

فلسطين حرة، شاء من شاء، وأبى من أبى.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر،

ونحن معها، حتى نلتقي في أرضها التي ستظل حية.

لفصل الأول: يقظة الأسد

في أرضٍ باركها الله من فوق سبع سماوات، حيث القدس شامخة تأبى أن تنحني، ودماء الشهداء تفوح منها كعبير المسك، عاش رجلٌ كأنه من نسل الأبطال الذين خطوا على جبين الدهر صفحاتٍ من المجد. كان اسمه يحيى السنوار، رجلٌ جسّد في حياته معنى الرجولة الصادقة والإيمان الثابت كالجبل، وعزّة النفس التي لا تنكسر مهما قست الأقدار.

يحيى السنوار لم يكن رجلاً كغيره من الرجال، بل كان نبراسًا يضيء ليل الأمة المظلم. نشأ في كنف فلسطين، تلك الأرض التي شُرّفت بمسرى الرسول

الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وقلبه يخفق بحبها كما يخفق القلب بحب الأم. كان يتنفس هواءها كأنه نسيم الجنة، ويغرس قدميه في ترابها كأنه يقف على أعتاب المحراب.

***

الفصل الثاني: عزيمة لا تلين

نشأ السنوار على مائدة القرآن الكريم، يحفظ آياته في قلبه، ويتدبّر معانيها بعقله، فتربى على التقوى والإخلاص، وامتلأت روحه بآيات الجهاد والصبر. وكان كلما سمع قول الله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"، ازداد قوةً وعزمًا.

كان السنوار شجاعًا لا يهاب الموت، بل كان يرى فيه مفتاحًا للخلود، وكأنه يردد في قلبه قول الشاعر:

"ومن لم يمتْ بالسيفِ ماتَ بغيرِهِ... تعددتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ".

كان يُقدِم على المعارك بروحٍ لا تعرف التردد، كأنه أسدٌ إذا زأر خرّ الأعداء صرعى.

***

الفصل الثالث: بين القيد والحرية

وذات يومٍ أسرت يد الاحتلال هذا الأسد، فأُدخل غياهب السجون، لكنهم لم يعلموا أن الأسر لا يزيد المؤمن إلا ثباتًا. كان السنوار خلف القضبان كالنجم في السماء، يبعث الأمل في النفوس، ويشدّ

من أزر إخوانه. وفي ظلمة السجن، كان يدعو الله أن ينصر الأمة، وأن يحرر فلسطين، يقينًا منه بأن النصر وعدٌ لا ريب فيه.

وكان يقول لمن حوله:

"إن القدس أمانةٌ في أعناقنا، وإن حمل القضية شرفٌ لا يبلغه إلا من صدق مع الله. فإذا مُتنا، فسيخرج من أصلابنا من يحمل الراية حتى يتحقق الوعد، ويولد في الأمة صلاح الدين جديد".

***

الفصل الرابع: المقاومة والوحدة

وحين خرج من ظلمات السجن، لم يكن الزمن قد نال من عزيمته، بل عاد أكثر إصرارًا. جعل من الوحدة الفلسطينية

هـــدفًا ســـاميًا، وعمـــل علـــى جمـــع الكلمـــة وتوحيـــد الصـــفوف. كـــان يـــردد: "إنمـــا يأكـــل الـــذئب مـــن الغـــنم القاصـــية، ولـــن ينـــال العـــدو منّـــا مـــا دمنـــا صـــفًا واحـــدًا كالبنيـــان المرصوص".

كـــان الســـنوار يـــرى أن الوحـــدة ليســـت خيـــارًا، بـــل هـــي الســـبيل الوحيـــد لتحريـــر الأرض واســـتعادة الكرامـــة. وبذكائـــه القيـــادي، أدار الأزمـــات فـــي غـــزة، وحـــوّل الحصـــار إلـــى فرصـــة للصـــمود، والحـــرب إلى وسيلة لرفع المعنويات.

***

الفصل الخامس: إرث الأبطال

ورغـــم الأهـــوال والشـــدائد، ظـــل الســـنوار علـــى ثباتـــه، متـــوكلاً علـــى الله، مـــرددًا قـــول

الله تعـــالى: "إِن تَنصُـــرُوا اللَّهَ يَنصُـــرْكُمْ وَيُثَبِّـــتْ أَقْـــدَامَكُمْ". كـــان يـــؤمن أن النصـــر آتٍ، ولـــو بعـــد حـــين، وأن الحريـــة ليســـت حلمًـــا، بـــل هـــي حقيقـــة ســـتتحقق علـــى أيـــدي أجيالٍ تربت على الجهاد.

كان يقول:

"إننـــا قـــومٌ لا نُهـــزم مـــا دمنـــا نحمـــل فـــي قلوبنـــا إيمانًـــا بـــالله، ومـــا دام فـــي ســـمائنا يرتفـــع الأذان، ومـــا دامـــت كلمتنـــا هـــي لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله".

***

الفصل الأخير: أمل الأمة

ومضـــت الأيـــام، والســـنوار بـــين النـــاس كالشـــجرة المثمـــرة، يفـــيض عطـــاءً وثباتًـــا. كـــان يـــرى فـــي عيـــون الصـــغار بريـــق الأمـــل،

وفي وجوه الشيوخ صمودًا يبعث على الفخر. وكان يردد: "إن القدس لن تضيع ما دمنا نحميها بدمائنا، وإن الليل مهما طال، فإن الفجر قريب".

هكذا كان السنوار، رجلًا تجاوز حدود المكان والزمان، وأصبح رمزًا للأمة بأسرها. سيذكره التاريخ كما ذكر صلاح الدين، وستظل سيرته شعلةً تضيء الطريق للأجيال القادمة، حتى يتحقق وعد الله، وتُرفع رايات النصر فوق أسوار القدس.

تحت ظلال شجرة معمّرة تضرب بجذورها عميقًا في أرض فلسطين كما تضرب جذور أهلها في التاريخ، جلست عجوز تقارب المئة، تلفها هيبة النبلاء، وتكللها حكمة السنين. تلك العجوز هي مباركة، امرأة تختزل في تجاعيد وجهها قصة وطن وجهاد شعب. بشموخها الذي لم تُفلّه محن الدهر، وبثباتها الذي لم تنل منه العواصف، كانت مباركة تجسد روح القدس؛ روحًا لا تهزم، ونفسًا تأبى الانكسار.

كان المكان يضج بصمت مهيب، لا يقطعه سوى حفيف أوراق الشجرة التي تحكي بدورها حكايات من عاصروها من أبطال قضوا وأحياء صمدوا. حولها

التفّ الأطفال والشبان والشيوخ، كأنهم ينهلون من نبع حكمتها الذي لا ينضب. رفعت مباركة رأسها، الذي ازدانت هامته بغطاء بسيط، لكنه يشي بعزّة لا تبارى. نظرت إلى الوجوه من حولها، وقالت بصوت عميق يخترق القلوب:

_ "يا بنيّ، أترون هذه الأرض التي نجلس عليها؟ هي ليست مجرد تراب أو صخور، بل هي دماء الأجداد وعرق الأمهات، هي الشرف الذي لا نبيع، هي الحلم الذي لا ننسى. منذ أن وعيت على هذه الدنيا، وأنا أسمع روايات النكبة، وأعيشها يومًا بعد يوم. رأيت بأم عيني كيف جاء المغتصب بآلته الحربية، مدججًا بباطل يُظهره كأنه حق، وبخديعة

أراد أن يُلبسها لباس الصدق. ظنّ أن بمقدوره اقتلاعنا كما يُقتلع الشوك، لكنه نسي أن الشوك ينبت من جديد، وأننا هنا متجذرون كأشجار الزيتون."

توقفت لحظة، وأخذت شهيقًا عميقًا، كأنها تجمع شتات ذكرياتها، ثم واصلت:

_ "حين جاء المحتل، كنت فتاة في مقتبل العمر. رأيت رجال قريتنا يهبّون كعاصفة، ونساءها يشعلن النيران في قلوب الأعداء. كنا نؤمن أن الموت أهون من العيش تحت وطأة الذل. قاومنا، حاربنا، ولم نكن نملك سوى الحجارة والإيمان. وصدقوني، يا أبنائي، لم يكن سلاحنا الحجارة فقط؛ كان سلاحنا الأكبر هو اليقين بأن الله معنا،

وبـــأن هـــذه الأرض ليســـت لهـــم، ولـــن تكون."

كانـــت أعـــين الحضـــور تلمـــع بالإعجـــاب، وكـــأن كلماتهـــا تـــوقظ أرواحًـــا نائمـــة، وتبـــث فيهـــا شـــجاعة الأبطـــال. واصـــلت مباركـــة حـــديثها، متـــذكرة تفاصـــيل أيـــام صـــعبة، لكنها كانت مجيدة:

_ "أذكـــر يـــوم جـــاءت الـــدبابات لتجتـــاح قريتنـــا. كنـــت حينهـــا أمًـــا شـــابة، أحمـــل طفلـــي بـــين يـــدي، وأشـــد بيـــدي الأخـــرى علـــى يـــد أخـــي الـــذي كـــان لا يتجـــاوز العاشـــرة. كـــان الليـــل حالكًـــا، والـــريح تصـــفع الوجـــوه، لكـــن قلوبنـــا كانـــت كالنـــار المتقـــدة. رأيـــت رجـــال القريـــة يهرعـــون، بعضـــهم بالســـلاح القليـــل الـــذي يملكونـــه، والـــبعض الآخـــر بالعصـــي

والحجارة. كانت النساء يملأن أوعية بالماء لإطفاء الحرائق، ويجهزن الطعام للمجاهدين. لم نكن نفرق بين الرجل والمرأة، بين الشيخ والصغير؛ كلنا كنا جنودًا في معركة البقاء."

ثم توقفت قليلاً، وأخذت تسرّح يدها في التراب تحت قدميها، كأنها تستمد منه القوة، وقالت:

_ "لكن، يا بنيّ، أعظم ما رأيته هو إيمان الناس. كانوا يعلمون أن الغلبة ليست بعدد ولا عدة، بل بثبات القلب وصدق النية. رغم الجوع الذي كان ينهش أجسادنا، ورغم أنين الجرحى الذي كان يملأ الليل، إلا أن صوت الأذان كان يعلو فوق كل شيء. كنا نصلي

ونـــدعو الله أن يعيننـــا، وكنـــا نعلـــم أن هـــذا البلاء اختبار لصبرنا."

ثـم رفعـت يـدها إلـى السـماء وقالـت بصـوت يفيض يقينًا:

_ "يـا أبنـائي، قـد تبـدو الأيـام قاتمـة، وقـد نظـن أن الليـل لـن ينقشـع، لكـن الله وعـدنا بالنصـر. القـدس سـتعود، لـيس لأننـا نريـد ذلـك فحسـب، بـل لأنهـا وعـد الله لعبـاده المـؤمنين. سـترتفع مـآذن الأقصـى مـن جديـد، وسـيرفرف علـم فلسـطين فـوق أسـواره. سـيهرب المحتـل كمـا تهـرب الوحـوش الجبانـة، وسـيندم كـل مـن ظـن يومًـا أن هـذه الأرض يمكـن أن تنسـى أهلها."

انتهت مباركة من حديثها، لكن كلماتها لم تنتهِ. كانت كالشرارة التي أشعلت في القلوب جذوة الكفاح من جديد. لم تكن مجرد عجوز تروي قصة؛ كانت أسطورة حيّة، شاهدة على أن الصبر مع الإيمان يصنع المعجزات. لقد تركت حديثها في نفوس مستمعيها كالنقش على الحجر، ثابتًا لا يمحوه الزمن.

صمود المرأة الفلسطنية

في أرض العز والكرامة، في فلسطين الحبيبة، حيث الأرض مباركة بدماء الشهداء، وقلوب الناس تلهج بحبها، كانت هناك امرأة فاضلة طاهرة، كريمة الخلق، رقيقة في مشاعرها، قوية في صبرها، تجسّد النبل والعفة. كانت حياتها تمتلئ بالإيمان والتقوى، تذكر الله في كل حين، وتحمده على كل نعمة، وتعيش بما يرضي الله. لم يكن في قلبها مكان للهموم، فقد كان قلبها مليئًا بالسلام الداخلي الذي ينبع من رضا الله. كانت تسير بين الناس وكأنها نور يمشي على الأرض، تشع بأدبها وحسن أخلاقها، ويجد كل من يتعامل معها نفسه

في راحة وسكينة. كانت تتقاسم مع الجميع أفراحهم وأتراحهم، لا تبخل في مساعدة أحد، ولها في كل موقف كلمة طيبة تعين الآخرين وتلهمهم على الصبر والسكينة.

عاشت تلك السيدة تسعة عشر عامًا دون أن تُرزق بأبناء، وكان هذا الطائر المفقود في حياتها، لكن قلبها كان مطمئنًا بما كتبه الله لها. كانت تحرص على أن تعيش حياتها وفقًا لما يرضي الله، فكانت تعتبر كل لحظة تمرّ في حياتها فرصة لتتقرب إلى الله، وكانت تنشغل بالطاعات، وتتعلم من العلم الشرعي، وتعلم أولادها الصبر والتمسك بالقيم الأصيلة.

وفي يوم من الأيام، أشرق وجهها ببشرى من الله، فقد رزقها الله توأمين، فتبدل حالها، وتغيرت حياتها بالكامل. كانا بالنسبة لها جنة في الدنيا، وأملًا في الحياة. وعندما كان ينظر كل من حولها إلى عينيها، كان يشعر بأن الحياة قد أهدتها أجمل ما فيها. رأت في توأميها الأمل الذي طالما انتظرته، وجعلتهما درعًا لحمايتها في ضعفها، وعمادًا لبناء مستقبلها. وكانت ترى فيهما حلمًا يتجسد، ووعدًا قد تحقق، ورغبة في استمرار الحياة.

لكن في لحظة من لحظات الزمن القاسي، ووسط فرحتها الغامرة، اجتاحت الأرض الفلسطينية رياح الغدر

والخيانة. سقطت صواريخ العدو الصهيوني على الأرض الطاهرة، وكأنها كانت تسعى لتدمير الأمل في قلوب البشر، وتحطيم الأمل الذي بدأ يزهر في تلك الأسرة. كانت تلك الصواريخ تنزل من السماء كالمطر، لكن لا تروي الأرض بل تحرقها. كانت هذه الهجمات الوحشية جزءًا من مشروع استعماري صهيوني يستهدف الإنسان الفلسطيني قبل الأرض، ويقتل الروح الفلسطينية في أي مكان.

قتلوا الأبرياء، دمروا المنازل، وأصابوا الأمة الفلسطينية في قلبها. لم يرحموا لا أطفالًا ولا شيوخًا ولا نساء، بل كانت تلك الهجمات الشيطانية تقتل كل شيء

جميل، وتغتال أحلام الناس. كانت القلوب تتفطر حزنا على الأطفال الذين سقطوا في تلك الحروب، على الأمهات اللواتي فقدن فلذات أكبادهن، على الآباء الذين فقدوا أبناءهم في لحظات، على الذين حوصروا في بيوتهم وأراضيهم، دون أن يجدوا سبيلًا للنجاة.

لكن هذه السيدة، رغم فاجعتها، كانت تحمل قلبًا يزداد صلابة مع كل لحظة ألم. كان الحزن يعتصر قلبها، لكن روحها لم تستسلم للضعف. كانت تعلم أن ذلك كان اختبارًا من الله، وأن في هذا الألم قد يكون هناك فوز عظيم في الآخرة. فقد كانت تعلم أن شهيدًا لا يموت، وأن الله تعالى قد اختار أبنائها ليكونوا من

الشـــهداء، وأنهـــم فـــي رحـــاب الله، يتنعمـــون بما وعدهم الله به.

وفـــي لحظـــة مـــن اللحظـــات التـــي كانـــت تحـــاول فيهـــا أن تهـــدأ مـــن ألمهـــا، رفـــع قلبهـــا نظـــره إلـــى الســـماء، وقـــرأت الآيـــة التـــي طالمـــا كانـــت ترددهـــا فـــي الأوقـــات الصـــعبة: "وَلَا تَحْسَـــبَنَّ الَّـــذِينَ قُتِلُـــوا فِـــي سَـــبِيلِ اللَّـــهِ أَمْوَاتًـــا بَـــلْ أَحْيَـــاءٌ عِنـــدَ رَبِّهِـــمْ يُرْزَقُـــونَ" (آل عمـــران: 169). فهـــدأ قلبهـــا، وطـــاب خاطرهـــا، وعلمـــت أن الله قـــد جعلهـــم أحيـــاء فـــي الجنـــة، وأن مـــا فقدتـــه فـــي الـــدنيا سيعوّضه الله بالخلود في الآخرة.

ورغـــم الألـــم، ورغـــم أن دموعهـــا كانـــت تـــذرف علـــى فلـــذة كبـــدها، فـــإن لســـانها لـــم يفـــارق الـــدعاء. كانـــت تتوســـل إلـــى الله أن

ينصر فلسطين، وأن يرفع راية الحق في السماء. لم تكن تلك الأم الجريحة ضعيفة، بل كانت أقوى من أي وقت مضى، وكانت تقول بصوت عالٍ: "يا أعداء الله، إنكم تظنون أنكم سترون ذلنا، لكنكم لا تدركون أن الله قد وعدنا بالنصر، وأن الحق سيظل في أرضنا مهما حاولتم إخماده. لا فلسطين ستكون إلا حرة، ولا القدس ستكون إلا في يد أهلها الأحرار. إننا صامدون، وإننا ثابتون، ولن تُهزم عزيمتنا. لقد زرعنا من دمائنا شجرة الأمل، ولن يُمحى ذلك من قلوبنا".

كانت كلماتها تجسد إرادة أمة كاملة، وتثبت أن هذا الشعب لن يتوقف عن

المقاومة، مهما كانت التحديات. وتابعت: "إننا لن ننسى حقنا في هذه الأرض، ولن نغادرها. سنظل نرفع راية القدس عالية، وسنبقى متمسكين بكل شبر فيها. فلسطين لنا، والقدس لنا، ولا يظن أعداؤنا أنهم سينتصرون، فإننا نحن الذين نملك الأرض، ونحن الذين سنكتب في التاريخ أن الحرية كانت دومًا في عروقنا، وأن النصر كان في قلبنا".

القدس: قضية الأمة واختبار الإيمان

القـــدس، يـــا قلـــب الأمـــة النـــابض، ويـــا جـــوهرةً تـــتلألأ فـــي جبـــين التـــاريخ، ويـــا مســـرى النبـــي الكـــريم صـــلى الله عليـــه وســـلم، أيُّ أرضٍ هـــذه التـــي تتحـــدث عنهـــا الســـماء وتبكـــي لهـــا الملائكـــة؟ أيُّ بقعـــةٍ مباركـــةٍ هـــذه التـــي بـــارك الله فيهـــا وحولهـــا، وجعلهـــا قبلـــةً للمصـــلين قبـــل الكعبـــة؟ هـــي أرضٌ لا تشـــــــبه أي أرض، وشـــــــرفٌ لا يوازيـــــه أي شـــــرف، ومـــــع ذلـــــك، تُركـــــت وحـــــدها فـــــي مواجهـــــة أعـــــداءٍ لا يرحمـــــون، وصـــار أهلهـــا فـــي عزلـــةٍ عـــن أمـــةٍ كانـــت فـــي يومٍ ما تصدح بآيات النصر والعزة.

يـــا أبنـــاء الإســـلام، ألـــم تقـــرؤوا فـــي كتـــاب ربكـــم قولـــه تعـــالى: "سُـــبْحَانَ الَّـــذِي أَسْـــرَى

بِعَبْـــدِهِ لَـــيْلًا مِـــنَ الْمَسْـــجِدِ الْحَـــرَامِ إِلَـــى الْمَسْـــجِدِ الْأَقْصَـــى الَّـــذِي بَارَكْنَـــا حَوْلَـــهُ لِنُرِيَـــهُ مِـــنْ آيَاتِنَـــا إِنَّـــهُ هُـــوَ السَّـــمِيعُ الْبَصِـــيرُ"؟ أوَلـــيس المســـجد الأقصـــى جـــزءًا مـــن إيمـــانكم؟ أوَلـــيس تحريـــره عهـــدًا فـــي أعناقكم؟

علـــى مـــرّ العصـــور، كانـــت القـــدس رمـــزًا للأمـــة الإســـلامية، بوابتهـــا الشـــرقية التـــي تصـــدُّ عنهـــا الأعـــداء، ودرعهـــا الـــذي يحميهـــا مـــن الطـــامعين. ولمـــا وقعـــت تحـــت الاحـــتلال، ظـــن العـــدو أنـــه بســـط يـــده عليهـــا للأبـــد، لكـــن القـــدس عصـــية، والقـــدس أبيـــة، والقـــدس لا تُبـــاع ولا تُشـــترى. هـــي ليســـت مجـــرد مدينـــة؛ إنهـــا قضـــيةُ أمـــة، وعنـــوانُ كرامةٍ ووجود.

أيُّ ذنـــبٍ ارتكبنـــاه حتـــى أصـــابنا هـــذا الضـــعف والخـــذلان؟ كيـــف ارتضـــينا أن تُـــدنّس هـــذه الأرض المباركـــة، ونحـــن غـــارقون فـــي لهونـــا وملـــذاتنا؟ أليســـت هـــذه القـــدس التـــي قـــال عنهـــا النبـــي صـــلى الله عليـــه وســـلم: "لا تُشـــدُّ الرحـــال إلا إلـــى ثلاثـــة مســـاجد: المســـجد الحـــرام، ومســـجدي هـــذا، والمســـجد الأقصـــى"؟ فـــأين شـــدَّ الرحـــال اليـــوم؟ شـــددناه إلـــى اللهـــو والتـــرف، وتركنـــا الأقصـــى تحـــت نيـــر الاحتلال.

فـــي القـــدس، كـــل شـــيءٍ يتحـــدث عـــن المجـــد الغـــابر. هنـــاك، الحجـــر والشـــجر يحمـــلان ذاكـــرة أمـــةٍ كانـــت يومًـــا مـــا ســـيدة العـــالم. وهنـــاك، تُقـــام صـــلاةٌ لا تنقطـــع، ولـــو تحـــت

القصف والرصاص. وفي كل زقاقٍ وركنٍ، حكايةٌ تُروى عن شعبٍ يُقاوم، عن طفلٍ يقذف الحجر، وعن أمٍ تزغرد لشهيدها، وعن شيخٍ يرفع يديه إلى السماء داعيًا: "اللهم اجعلنا من جندك الذين يحمون بيتك المقدس."

لكن، ما بال الأمة قد نامت عن واجبها؟ ما بالها قد انشغلت بصغائر الأمور ونسيت عظائمها؟ فلسطين ليست مجرد قضية، إنها اختبارٌ يميز الله به الخبيث من الطيب، والوفي من الخائن. من ينصرها اليوم، فهو ينصر نفسه، ومن يخذلها، فسيأتي عليه يومٌ يُخذل فيه.

ألم يقل الله تعالى: "إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ"؟ ألم يُخبرنا

النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ستظل بخيرٍ ما دامت ترفع راية الحق؟ ولكن، أين تلك الرايات؟ أين الرجال الذين أقسموا على حماية الدين والمقدسات؟ أين السيوف التي كانت تُشهر في وجه الظالمين؟

في أرض المعركة، يقف شعبٌ أعزلٌ إلا من إيمانه، يحمل في صدره يقينًا لا يزحزحه قصفٌ ولا تهديد. هناك، الشهداء يرتقون، والدماء تُسقى الأرض فتُزهر حريةً وعدلًا. هؤلاء هم جند الله الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا

من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك."

لكن، ماذا عن البقية؟ ماذا عن أمةٍ مترامية الأطراف، تُعد بالملايين، لكنها عاجزة عن نصرة قضية واحدة؟ أمةٌ أغلقت حدودها، وصمتت عن الجرائم، وركنت إلى الدعة والخنوع. هل نسيتم أن الذئب لا يأكل إلا القاصية؟ هل غفلتم عن أن العدو الذي يطمع بالقدس، يطمع أيضًا بدمشق وبغداد والقاهرة ومكة والمدينة؟

ألم تقرؤوا التاريخ؟ ألم تعلموا أن كل أرضٍ تُحتل، هي خطوةٌ نحو احتلال أخرى؟ الذئاب لا تشبع، والعدو لا يكتفي، وما فلسطين إلا البداية.

إن القدس ستتحرر، هذا وعد الله الذي لا شك فيه. سيأتي يومٌ تقف فيه الأمة صفًا واحدًا، كالبنيان المرصوص، وتستعيد فيه عزها ومجدها. سيُرفع الأذان من فوق مآذن الأقصى، وسيُدحر الاحتلال، وسيكتب التاريخ أن جيلًا من الأمة أبى أن يخون، وأبى أن يُفرط في الأمانة.

لكن، من سيغسل عار الخونة؟ من سيمحو خزي من تركوا القدس تُحارب وحدها؟ في يوم الحساب، سيقف كل واحدٍ منا أمام الله، وسيسأله عن دوره في نصرة دينه ومقدساته. بماذا سنجيب؟ هل نقول: "ربنا، كنا ضعفاء، كنا مشغولين بدنيانا"؟

لا والله، إن الأعـــذار لـــن تُقبـــل يومهـــا، والنـــدم لـــن ينفـــع. اليـــوم عمـــلٌ بـــلا حســـاب، وغـــدًا حســـابٌ بـــلا عمـــل. فـــاعملوا يـــا أمـــة الإســـلام، وانهضـــوا مـــن ســـباتكم، واصـــدقوا مع الله، يُصدقكم وعده.

يـــا أبنـــاء الإســـلام، القـــدس تنـــاديكم، فهـــل مـــن مجيـــب؟ فلســـطين تســـتغيث، فهـــل مـــن مُغيـــث؟ ألـــيس فـــيكم رجـــلٌ رشـــيدٌ يُعيـــد لهـــذه الأمـــة كرامتهـــا؟ عـــودوا إلـــى ربكـــم، واعتصـــموا بحبلـــه، وتوحـــدوا، وأعيـــدوا بنـــاء قـــوتكم. النصـــر لا يـــأتي بالصـــدفة، ولا يُمـــنح للضـــعفاء، بـــل هـــو لمـــن يســـتحقه، ولمن يُقاتل لأجله.

اللهـــم اجعلنـــا مـــن الـــذين يرفعـــون رايـــة الحـــق، وينصـــرون دينـــك، ويُعيـــدون للأمـــة

مجـــدها. اللهـــم انصـــر المجاهـــدين فـــي فلســـطين، وثبّـــت أقـــدامهم، واكتـــب لنـــا شـــرف الـــدفاع عـــن مقدســـاتك. ربنـــا، إنّـــا علـــى العهـــد ثـــابتون، وبوعـــدك مؤمنـــون، فارزقنا القوة والإيمان لنصرة دينك.

فجر القدس: شمس الحرية تشرق من جديد

فلسطين، يا أيتها الأرض الطاهرة التي شهدت نزول أولى شرائع السماء، يا أيتها الأرض التي تجمعت فيها آهات الأمهات وصراخ الأطفال وأذان المساجد في رحاب مقدساتها، يا من تستحقين أن تُسجِّل في قلب التاريخ ملحمة البطولة والصبر على مر العصور. فيكِ، يا فلسطين، قد تحقق الوعد الذي لا يمكن أن يُكذَّب، وعدٌ من الله بأنكِ ستعودين كما كنتِ، حرةً أبية، شامخةً فوق جبال الحق لا ينال منها عدوان، ولا تُثنيها فتنة.

فلسطين، يا من لطالما حملتِ في أحشائكِ هموم أمتكِ، يا من تجددين في

قلوبنـــا روح الجهـــاد والأمـــل، إننـــا لـــن نتوقـــف عـــن الســـعي نحـــو حريتـــكِ، ولـــن تثنينـــا عـــن ذلـــك قـــوة الظـــالمين ولا جبـــروت المعتـــدين. قـــد اســـتُهينت بـــكِ الأجيـــال الماضـــية، ولكـــنَّ الله، فـــي حكمتـــه العظيمـــة، قـــد جعـــل مـــن دمـــاء شـــهدائكِ نـــورًا يهـــدي الخطـــى نحـــو النصـــر. فلـــتعلم جميـــع القـــوى الباطلـــة أن الشـــمس التـــي تغيـــب لـــن تغيـــب إلـــى الأبـــد، وأن فجـــر القـــدس ســـيطلع علـــى الأرض مـــن جديـــد، فجـــرًا يبعـــث فـــي النفـــوس قـــوة وعزيمـــة، فجـــرًا تتنـــاثر فيـــه الزغاريـــد مـــن حنـــاجر النســـاء وتبـــتهج الأرض بعودتها.

إنهـــا الأرض التـــي لا يعرفهـــا إلا الأحـــرار، أرضٌ شُـــرِفَت بنـــزول الأنبيـــاء، ومهـــدٌ

للسَّـــلام والحـــق، وعلـــى جبالهـــا الشـــامخة سـيتردد صـدى التكبيـر والتهليـل فـي يـومٍ قريـب، سـترتفع صـرخة الحـق فـي كـل زاويـة، وسترتسـم البسـمة علـى وجـه كـل طفـل نشـأ فـي رحـم المعانـاة. سـتكون هـذه البسـمة يومًـا، بفضـل الله، أقـوى مـن كـل الأسـلحة، وأشـد مـن كـل الجيـوش، حـين تنتفض فلسطين وتستعيد عافيتها.

آمالُنـا يـا فلسـطين، هـي سـيفٌ لا ينكسـر، وقلـبٌ لا يهـزم، وحلـمٌ لا يضـيع. لقـد أقسـمنا أن نبقـى علـى دربـكِ، نكتـب لـكِ ملاحـم الجهـاد فـي صـفحات الكتـب، نـزرع الأرض ببـذور الإيمـان والأمـل. لا يقـدر علينـا أحـد، فـلا يسـتطيع الاحـتلال الصـهيوني أن يحجـب شـمس الحريـة التـي

ستشرق في سمائكِ. في قلب كل فلسطيني حر، في قلب كل مسلم وعربي، يكمن الإيمان المطلق بأن وعد الله آتٍ. مهما حاول العدو أن يزرع بيننا اليأس، فإن الأرض ستنبت من جديد، وكأنها قد ولدت من جديد.

إن ما تزرعينه من دماء الشهداء هو ما سيحمل أجيالاً قادمة على الأكتاف لتسير على طريق التحرير. سيزهر الزيتون في أرضكِ، وتعود الحمامة البيضاء لتطير في سمائكِ. يا فلسطين، حتى وإن طال الزمان، وإن كانت الأيام تتراكم على قلبكِ الجريح، فأنتِ في موعد مع الفجر القادم. والله، لو كانت الدنيا بأسرها

تتـــآمر ضـــدكِ، فـــإن الله معـــكِ، يحميـــكِ ويرعاكِ، ويعيد لكِ الحق.

أمـــا أنـــتِ، أيتهـــا الأمـــة المباركـــة، أيتهـــا الأمـــة التـــي أضـــاء وجههـــا نـــور محمـــد صـــلى الله عليـــه وســـلم، فـــلا مكـــان للمســـاومة علـــى قدســـنا، ولا مكـــان للتراجـــع عـــن وعـــد الله. القـــدس ســـتظل إيماننـــا، وســـتظل فلســـطين حبنـــا الـــذي لا يُبـــارَى، ورابـــط الـــدم الـــذي لا يقطـــع. أمـــة محمـــد، التـــي نشـــأت علـــى حـــب الله ورســـوله، لـــن تنكســـر أمـــام أعتـــى الجيـــوش وأشـــد الحـــروب. قوتنـــا فـــي القـــرآن، فـــي هـــذا الكتـــاب الـــذي لا يأتيـــه الباطـــل مـــن بـــين يديـــه ولا مـــن خلفـــه. هـــو الحـــارس الـــذي لـــن يخيـــب، هـــو الحبـــل الـــذي لا يقطع، هو النور الذي لا يطفأ.

إننـــا سنصـــلي فـــي مســـجدكِ، ســـنعانق قدســكِ، ســنعود إليهــا فــي يــوم قريــب، وهــذا وعــدٌ مــن الله، إن شــاء الله، فــإن كــان العــدو يظـــن أنـــه سيســـتطيع إخضـــاعنا، فهـــو واهــم، وإن كــان يظــن أن الظلــم سيســتمر، فهــو غافــل عــن قــدرة الله، الــذي قــال فــي كتابـــه: "إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِـــفُ الْمِيعَـــادَ". فمهمـــا جَهــد الأعــداء، وتمــادوا فــي طغيــانهم، فــإن الله ســـيجعل النصـــر حليفًـــا للمـــؤمنين، وسيحقق فينا وعدًا طالما انتظارنا له.

ســتعود فلســطين، كمــا كانــت، حــرةً أبيــة، وســتعود لنــا ديارنــا التــي اســتلبت، ســتعود لنــا بيوتنــا، ســتعود لنــا زروعنــا. نعــم، هــذا أمــر الله الــذي لا راد لــه. ســنعود كمــا كنــا،

كما كانت الأرض قبلاً، كما كانت السماء تشهد على عروبتنا، إسلامنا، ووحدتنا.

اللهم اجعلنا من الذين يسهمون في تحريرها، واجعلنا من شهدائها، وامنحنا شرف الدفاع عنها، واجعلنا نعيش لنشهد على نصرها وعودة الحق إليها.

إن وعد الله لن يخلف، والنصر قادم لا محالة

القدس
عربية مسلمة أبية

كتاب "القدس عربية مسلمة أبيّة" هو عمل يتناول القضية الفلسطينية، مبرزًا صرخة شعبها وبطولاتهم، ونضالهم المستمر،

وقصصهم المؤثرة التي تجسد معاني الصبر والتحدي والجهاد في سبيل الله.

كما يشكل الكتاب رسالة موجهة للعرب والمسلمين، تدعوهم إلى الاهتمام بهذه القضية العادلة، فالقدس هي قضيتنا، ووجهتنا، وأولى القبلتين، ونحن مسؤولون عنها أمام الله يوم القيامة. وفي ثنايا الكتاب، يحمل الكاتب مشاعر حبه وارتباطه العميق بالقدس.

كما يعتبر الكلمات جهاداً في سبيل الله، فالقلم قد يفعل ما تعجز الجيوش عن فعله، وجهاد الكلمة لا يقل شأنًا عن جهاد السلاح.

نسمات الأدب

مديرة الدار : رزان محمد كليب

تصميم الغلاف : منى وجيه